كتاب الأذكار

٢٤٤- باب فضل الذكر والحث عليه

قال الله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٥٤]. وقال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]. وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]. وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢]. **والآيات في الباب كثيرةٌ معلومةٌ.**

الشــرح

قال المؤلف رحمه الله تعالى كتاب الأذكار، الأذكار جمع ذكر والمراد بذلك ذكر الله عزَّ وجلَّ، ثم ذكر باب فضل الذكر والحث عليه، وذكر آيات متعددة، وليعلم أن ذكر الله تعالى يكون بالقلب ويكون باللسان ويكون بالجوارح، أما القلب فهو التفكر، أن يتفكر الإنسان في أسماء الله وصفاته وأحكامه وأفعاله وآياته، وأما الذكر باللسان فظاهر، ويشمل كل قول يقرب إلى الله عزَّ وجلَّ من التهليل والتسبيح والتكبير وقراءة القرآن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقراءة السنة وقراءة العلم.

وأما الأفعال، ذكر الله بالأفعال بالجوارح فهو كل فعل يقرب إلى الله كالقيام في الصلاة والركوع والسجود والقعود، وغير ذلك، لكن يطلق عرفًا على ذكر الله تعالى بالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل، وذكر المؤلف رحمه الله في ذلك آيات، منها: قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾. فخاطب الله المؤمنين وأمرهم أن يذكروا الله تعالى ذكرًا كثيرًا في كل وقت وفي كل حال وفي كل مكان.

اذكروا الله ذكرًا كثيرًا ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾. أي قولوا: سبحان الله في البكور والأصيل، يعني: في أول النهار وآخر النهار، ويحتمل أن يُراد بالنهار كله وفي الليل كله.

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾، وهذا ذكره الله عزَّ وجلَّ في سياق لقاء العدو، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥]. فذكر الله تعالى من أسباب الثبات والفلاح، والفلاح كلمة جامعة يُراد بها حصول المطلوب والنجاة من المرهوب.

وقال الله تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. قيل: المعنى ولما فيها من ذكر الله أكبر، وقيل المعنى ذكر الله عمومًا أكبر وهو أن الإنسان إذا صلَّى كان ذلك سببًا لحياة قلبه وذكره لله عزَّ وجلَّ كثيرًا.

وقال تعالى في وصف الخلق من عباده ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ

وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]. وقال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

والآيات في هذا كثيرة كلها تدل على فضيلة الذكر والحث عليه، وقد أثنى الله تعالى على الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، وبين أنهم هم أصحاب العقول، فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩١]. فالمهم أن نحث أنفسنا على إدامة ذكر الله، لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر، فهو سهل ويسير ولله الحمد وأجره عظيم. جعلني الله وإياكم من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات إنه على كل شيء قدير.

* * *

١٤٠٨ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيْفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ في الميزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العظيم[1]» متفقٌ عليه.

١٤٠٩ ـ وَعَنْهُ رضي الله عنه قالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ،

---

(١) رواه البخاري: كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح، رقم(٥٩٢٧)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم(٤٨٦٠).

وَالحَمْدُ لله، وَلا إلهَ إلاَّ الله، وَالله أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَت عليهِ الشَّمْسُ[(١)]» رواه مسلم.

١٤١٠ ـ وعَنْهُ رضي الله عنه أنَّ رَسُولُ الله ﷺ قالَ: «مَنْ قَالَ لا إلهَ إلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلكُ وله الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدير، في يَومٍ مائةَ مَرَّةٍ كانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشَر رِقَابٍ وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، ومُحيت عنهُ مائةُ سَيِّئَةٍ، وكانت له حرزًا من الشَّيْطَانِ يَومَهُ ذلك حتى يُمسي، ولَمْ يأتِ أَحَدٌ بِأفضلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إلاَّ رَجلٌ عَمِلَ أكثرَ منه» وقال: «من قالَ سُبْحَانَ اللهِ وبحمدِهِ، في يَوْمٍ مائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاه، وَإِنْ كانتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ[(٢)]» متفقٌ عليه.

الشــرح

هذه الأحاديث الثلاثة عن أبي هريرة رضي الله عنه كلها تدل على فضل الذكر.

الأول: قال النبي ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم» كلمتان كما قال النبي ﷺ خفيفتان على اللسان، وهما أيضًا ثقيلتان في الميزان، إذا كان يوم القيامة ووزنت الأعمال ووضعت هاتان الكلمتان في

---

(١) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم(٤٨٦١).

(٢) رواه البخاري: كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح، رقم(٥٩٢٦)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم(٤٨٥٧).

الميزان ثقلتا به.

والثالث: حبيبتان إلى الرحمن، وهذا أعظم الثوابين، أن الله تعالى يحبهما وإذا أحب الله العمل أحب العامل به، فهاتان الكلمتان من أسباب محبة الله سبحانه وتعالى لعبده.

ومعنى: «**سبحان الله وبحمده**»، أنك تنزه الله تعالى عن كل عيب ونقص وأنه الكامل من كل وجه جلَّ وعلا، مقرونًا هذا التسبيح بالحمد الدال على كمال إفضاله وإحسانه إلى خلقه جلَّ وعلا وتمام حكمته وعلمه وغير ذلك من كمالاته.

«**سبحان الله العظيم**» يعني: ذي العظمة والجلال فلا شيء أعظم من الله سلطانًا ولا أعظم قدرًا ولا أعظم حكمة ولا أعظم علمًا فهو عظيم بذاته وعظيم بصفاته جلَّ وعلا، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

تنبغي للإنسان أن يكثر منهما وأن يداوم على قولهما لأنهما ثقيلتان في الميزان وحبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.

ثم ذكر الحديث الثاني عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر، أربع كلمات، أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس**» يعني: أحبُّ إليَّ من الدنيا كلها. وهي أيضًا كلمات خفيفة: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر».

الناس الآن يسافرون ويقطعون الفيافي والصحاري والمهالك والمفاوز من أجل أن يربحوا شيئًا قليلاً من الدنيا قد يتمتعون به، وقد

يحرمون إياه، وهذه الأعمال العظيمة يتعاجز الإنسان عنها، لأن الشيطان يكسله ويخذله ويثبطه عنها، وإلا فهي كما قال الرسول ﷺ أحبُّ إلى الإنسان مما طلعت عليه الشمس وإذا فرضنا أن عندك ملك الدنيا كلها، ثم حضر الموت، ماذا تستفيد؟ لا تستفيد شيئًا، لكن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هي الباقيات الصالحات، قال الله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]. فينبغي لنا أن نغتنم الفرصة بهذه الأعمال الصالحة.

أما الحديث الثالث والرابع: فهو «من قال في يوم مائة مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير». حصل له هذه الفضائل الخمسة.

أولاً: كان كمن أعتق عشر رقاب.

وثانيًا: كتبت له مائة حسنة.

ثالثًا: وحطت عنه مائة خطيئة.

رابعًا: وكانت له حرزًا من الشيطان.

وخامسًا: ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا من عمل أكثر مما عمل.

خمس فضائل، إذا قلت: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير»، مائة مرة، وهذه سهلة، يمكن وأنت تنتظر صلاة الفجر بعد أن تأتي للمسجد تقولها أو بعد طلوع الفجر تقولها تنتفع بها، وهذا أيضًا من الأمور التي ينبغي للإنسان أن يداوم عليها وينبغي أن يقولها في أول النهار لتكون حرزًا له من الشيطان.

أما «سبحان الله وبحمده» فمن قالها مائة مرة حطت عنه خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر، وهذه ـ سبحان الله وبحمده ـ تقولها في آخر النهار لأجل أن تحط عنك خطايا النهار.

فانتهز الفرصة ـ يا أخي ـ، انتهز الفرصة، العمر يمضي ولا يرجع، ما مضى من عمرك فلن يرجع إليك، وهذه الأعمال خفيفة مفيدة ثوابها جزيل وعملها قليل. نسأل الله أن يعيننا وإياكم على ذكره وشكره وحسن عبادته.

❊ ❊ ❊

١٤١١ ـ وَعَنْ أَبِي أيوب الأنصاري رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «مَنْ قالَ لا إله إلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شيءٍ قديرٌ، عَشْرَ مَرَّات، كانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أنفُسٍ من ولَدِ إِسْمَاعِيلَ[١]» متفقٌ عليه.

١٤١٢ ـ وعنْ أَبِي ذرٍّ رضي الله عنه قالَ: قالَ لي رسول الله ﷺ: «أَلاَ أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الكلامِ إلى الله؟ إنَّ أَحَبَّ الكلامِ إلى الله: سُبْحَانَ الله وبِحَمْدِهِ[٢]» رواه مسلمٌ.

١٤١٣ ـ وعَنْ أَبِي مالك الأشْعَرِيِّ رضي الله عنه قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمانِ، والحمدُ لله تَمْلأُ المِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ، والحمدُ للهِ تَمْلآنِ ـ أوْ تَمْلأُ ـ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ والأرْضِ[٣]» رواه مسلم.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الدعوات، باب فضل التهليل، رقم(٥٩٢٥)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم(٤٨٥٩).

(٢) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل سبحان الله وبحمده، رقم(٤٩١١).

(٣) رواه مسلم: كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، رقم(٣٢٨).

١٤١٤ ـ وعَنْ سَعْدِ بن أبي وقَّاصٍ رضي الله عنه قالَ: جَاءَ أَعْرَابيٌّ إلى رَسُولِ الله ﷺ فقالَ: عَلِّمْنِي كَلامًا أَقُولُهُ: قالَ: «قُلْ لا إله إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، والحمدُ لله كثيرًا، وسُبْحَانَ اللهِ ربِّ العالمين، وَلاَ حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا باللهِ العزيزِ الحكيمِ» قال: فهؤلاء لرَبِّي، فَمَالي؟ قال: «قُلْ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي، وارحمني، وَاهْدِنِي، وارزُقني[(١)]» رواه مسلم.

١٤١٥ ـ وَعَنْ ثَوبَانَ رضي الله عنه قالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلاثًا، وقال: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلامُ، ومنكَ السَّلامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذا الجلالِ والإِكْرَامِ» قيلَ للأوزاعيِّ، وهو أحدُ رُواةالحديث: كَيفَ الاستغْفَارُ؟ قال: تقول: أستغفرُ اللهِ، أَستغفرُ الله[(٢)]. رواه مسلم.

الشــرح

هذه الأحاديث ساقها المؤلف ـ رحمه الله ـ في باب فضل الذكر، وقد سبق لنا شيء من هذه الأحاديث، فمنها: أي: من الأحاديث التي ساقها ـ أن من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات، كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل يعني كان كالذي أعتق أربع رقاب من أشرف الناس نسبًا وهم بنو إسماعيل؛ لأن أشرف الناس نسبًا هم العرب، وهم بنو إسماعيل، وأما

---

(١) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم(٤٨٦٢).

(٢) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، رقم(٩٣١).

العجم فلهم آباء آخرون ولكن ذرية إسماعيل هم العرب، فمن قال: «**لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**» عشر مرات، كان كمن أعتق أربعة أنفس، وهذا دليلٌ على فضل هذا الذكر.

وكذلك أيضًا قال النبي ﷺ: «**أحب الكلام إلى الله سبحان الله وبحمده**» وقد سبق أن النبي ﷺ قال: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**».

وكذلك حديث ثوبان لكنه ذكر مقيد، أن النبي ﷺ كان إذا انصرف من صلاته قال: «**أستغفر الله**»، يعني: استغفر ثلاثًا، قال: «**أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله، اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام**» وإنما يستغفر الإنسان إذا فرغ من صلاته من أجل ما يكون فيها من خلل ونقص ويقول: «**اللهم أنت السلام**» يعني: اللهم إني أتوسل إليك بهذا الاسم الكريم من أسمائك أن تسلم لي صلاتي حتى تكون مكفرة للسيئات ورافعة للدرجات. والله الموفق.

* * *

١٤١٦ ـ وعَنِ المُغِيرَةِ بنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ: كَانَ إذَا فَرَغَ مِنَ الصَّلاةِ وَسَلَّمَ قالَ: «لا إله إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ. اللَّهُمَّ لا مانعَ لما أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ[1]» متفقٌ عليه.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة، رقم(٧٩٩)، ومسلم: كتاب =

١٤١٧ ـ وَعَنْ عبدِ اللهِ بن الزُّبَيْرِ رضي الله عنهما أنَّهُ كان يَقُولُ دُبُرَ كُلِّ صلاة، حينَ يُسَلِّمُ: لا إله إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شريك لَهُ، لَهُ الملكُ ولَهُ الحمدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شيءٍ قديرٌ. لا حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللهِ، لا إلهَ إلا اللهُ، ولا نَعْبُدُ إلاَّ إيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ، وَلَهُ الفَضْلُ ولهُ الثَّنَاءُ الحَسَنُ. لا إلهَ إلا اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ. قالَ ابْنُ الزُّبَير: وكَانَ رسولُ الله ﷺ، يُهَلِّلُ بِهِنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ مكتوبة[1]. رواه مسلم.

الشرح

هذان الحديثان في بيان الأذكار المقيدة، لأن الأذكار تنقسم إلى قسمين، مطلقة ومقيدة، منها مقيد بالوضوء، ومنها ما هو مقيد بالصلاة، فهذان الحديثان مقيدان بالصلاة، حديث المغيرة بن شعبة، وحديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما.

أما حديث المغيرة فقد أخبر رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول إذا سلم من صلاته: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**» ومعنى لا إله إلا الله يعني: **لا معبود حق إلا الله**، فلا معبود في الكائنات يستحق أن يعبد إلا الله عزَّ وجلَّ، أما الأصنام التي تعبد من دون الله فليست مستحقة للعبادة، حتى وإن سماها عابدوها آلهة، فإنها ليست آلهة، بل هي كما قال الله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [يوسف: ٤٠].

= المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، رقم(٩٣٣).

(١) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، رقم(٩٣٥).

فالمعبود حقًّا هو الله عزَّ وجلَّ.

وقوله: «**وحده لا شريك له**»، هذا من باب التأكيد، تأكيد وحدانيته جل وعلا وأنه لا مشارك له في ألوهيته «**له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**»، له الملك المطلق العام الشامل الواسع، ملك السماوات والأرض وما بينهما، ملك الآدميين والحيوانات والأشجار والبحار والأنهار والملائكة والشمس والقمر، كل هذه ملك لله عزَّ وجلَّ، ما علمنا وما لم نعلم، له الملك كله يتصرف فيه كما يشاء وعلى ما تقتضيه حكمته جلَّ وعلا.

«**وله الحمد**» يعني: الكمال المطلق على كل حال، فهو جل وعلا محمود على كل حال في السراء وفي الضراء، أما في السراء فيحمد الإنسان ربه حمد شكر، وأما في الضراء فيحمد الإنسان ربه حمد تفويض؛ لأن الشيء الذي يضر الإنسان قد لا يتبين له وجه مصلحته فيه ولكن الله تعالى أعلم، فيحمد الله تعالى على كل حال، وكان النبي ﷺ إذا أتاه ما يسره قال: «**الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات**» وإذا أتاه ما لا يسره قال: «**الحمد لله على كل حال**»[1].

«**اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد**». هذا أيضًا تفويض إلى الله عزَّ وجلَّ بأنه لا مانع لما أعطى، فما أعطاك الله لا أحد يمنعه، وما منعك لا أحد يعطيك إياه، ولهذا قال: «**ولا معطي لما منعت**»، إذا آمنا بأنه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع إذًا لا نسأل العطاء إلا من الله عزَّ وجلَّ، ونعلم أنه لو أعطانا فلان شيئًا فالذي قدر

---

(١) رواه ابن ماجه: كتاب الأدب، باب فضل الحامدين، رقم(٣٨٠٣).

ذلك هو الله، والذي صيره حتى يعطينا هو الله، وما هو إلا مجرد سبب، لكن نحن مأمورون بأن نشكر من صنع إلينا معروفًا، كما قال النبي ﷺ: «**من صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه، فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه**[(١)]» لكن نعلم أن الذي يَسّر لنا هذا العطاء وصير لنا هذا المعطي هو الله عزَّ وجلَّ.

«**اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد**»، الجد يعني: الحظ والغنى، يعني الإنسان المحظوظ الذي له حظ وعنده مال وعنده أولاد وعنده زوجات وعنده كل ما يشتهي من الدنيا، فإن هذا لا ينفعه من الله. «لا يمنع ذا الجد منك الجدُّ»، الجد فاعل، يعني: أن الجد وهو الحظ والغنى ما يمنع من الله عزَّ وجلَّ، لأن الله تعالى له ملك السموات والأرض وكم من إنسان تراه مسرورًا في أهله وعنده المال والبنون وجميع ما يناله من الدنيا ولا ينفعه شيء من الله، قد يصاب بمرض ولا يقدر أن يرفعه عنه إلا الله عزَّ وجلَّ ويُصاب بغمٍّ وهمٍّ وقلق لا ينفعه إلا الله عزَّ وجلَّ.

وهذا كله في التفويض إلى الله. إذًا ينبغي لنا إذا سلم الإنسان واستغفر ثلاثًا، وقال: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام أن يذكر الله تعالى بهذا الذكر.

---

(١) رواه أبوداود: كتاب الزكاة، باب عطية من سأل بالله، رقم(١٤٢٤)، والنسائي: كتاب الزكاة، باب من سأل بالله عزَّ وجلَّ، رقم(٢٥٢٠).

والترتيب بين الأذكار ليس بواجب، يعني: لو قدمت بعضها على بعض فلا بأس، لكن الأفضل أن تبدأ بالاستغفار ثلاثًا واللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام ثم تذكر الله تعالى بالأذكار الواردة، وسيأتي الكلام إن شاء الله عن حديث عبد الله بن الزبير.

* * *

١٤١٨ ـ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّ فُقَرَاءَ المُهَاجِرينَ أَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ فقالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بالدَّرَجَاتِ العُلَى، وَالنَّعِيمِ المُقيمِ: يُصَلُّون كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَال: يَحُجُّونَ، وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُون، وَيَتَصَدَّقُون. فقالَ: أَلاَ أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُون به مَنْ بَعْدكُمْ، ولاَ يكونُ أحدٌ أفْضَلَ منكُمْ إلا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ؟» قالوا: بَلَى يا رسول اللهِ، قالَ: «تُسَبِّحُونَ، وتَحْمَدُون، وتُكَبِّرُون، خَلْفَ كُلِّ صلاةٍ ثلاثًا وثلاثينَ» قالَ أبو صالح الرَّاوي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، لَمَّا سُئِلَ عَنْ كَيْفِيَّةِ ذكْرِهِنَّ، قال: يقولُ: سُبْحَانَ اللهِ، والحمدُ لله، والله أَكْبَرُ، حَتَّى يَكُونَ مِنْهُنَّ كُلِّهِنَّ ثَلاثًا وثَلاثِينَ[1]. متفقٌ عليه.

وزادَ مُسْلِمٌ في روايته: فَرَجَعَ فقَرَاءُ المُهَاجِرِينَ إلى رَسُولِ الله ﷺ فقالوا: سَمِعَ إخْوَانُنَا أَهْلُ الأمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ؟ فقالَ رسولُ الله ﷺ «ذَلِكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ».

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة، رقم(٧٩٨)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، رقم(٩٣٦).

الدُّثورُ: جمَعُ دَثْر «بفتح الدَّال وإسكانِ الثاءِ المثلَّثةِ» وهو المَالُ الكثيرُ.

الشـــرح

هذا من الأحاديث الدالة على فضيلة الذكر المخصوص المقيد بعمل، وهذا منها، حديث أبي هريرة: أن فقراء المهاجرين جاءوا يشتكون إلى النبي ﷺ يقولون: إن أهل الأموال سبقونا، إنهم يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم، ولهم فضل من الأموال، يعني: زيادة يتصدقون بها ويحجون ويعتمرون ويجاهدون، فدلهم النبي ﷺ على أمر، قال: «**أفلا أخبركم بأمر تدركون من كان قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم**»، قالوا: بلى يا رسول الله ﷺ، قال: «**تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثًا وثلاثين**»، يعني تقولون: «**سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر**» ثلاثًا وثلاثين مرة، فهذه تسع وتسعون، ثم إنهم فعلوا ذلك، ولكن سمع الأغنياء بهذا ففعلوا مثله، فتساووا معهم في هذا الذكر، فرجع الفقراء إلى رسول الله ﷺ وقالوا: يا رسول الله ﷺ سمع إخواننا أهل الأموال بما صنعنا فصنعوا مثله، وكأنهم يريدون شيئًا آخر يختصون به، فقال: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [الجمعة: ٤].

ففي هذا الحديث من الفوائد:

أولاً: حرص الصحابة رضي الله عنهم على التسابق إلى الخير وأن كل واحد منهم يحب أن يسبق غيره.

ومنها: أن هذا الذكر: «**سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر**» ثلاثًا

وثلاثين مشروع خلف الصلوات، وقد ورد في حديث آخر أنه تكمل المائة بقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

وهذا صفة من صفات الذكر بعد الصلاة. ومن صفات الذكر بعد الصلاة أن تقول: «**سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**» خمسًا وعشرين فيكون الجميع مائة، ومن صفاته أيضًا أن تقول «**سبحان الله**» ثلاثًا وثلاثين، «**والحمد لله**» ثلاثًا وثلاثين، «**والله أكبر**» أربعًا وثلاثين، فهذه مائة.

ومن صفاته أن تقول: «**سبحان الله**» عشر مرات، «**والحمد لله**» عشر مرات، «**والله أكبر**» عشر مرات، تفعل هذا مرة وهذا مرة، لأن الكل ثبت عن النبي ﷺ.

ومن فوائد الحديث: سعة صدر النبي ﷺ على المراجعة والمناقشة، لأنه عليه الصلاة والسلام يريد الحق أينما كان، والحق معه لكن يطيب قلوب الناس ويبين لهم.

ومن فوائد الحديث: أن الله سبحانه وتعالى إذا مَنَّ على أحد بفضل فإنما هو فضله يؤتيه من يشاء، ولا يجور بهذا الفضل على أحد، فإذا أغنى هذا وأفقر هذا، فهو فضله يؤتيه من يشاء. وليس هذا بجورٍ بل ذلك فضله يؤتيه من يشاء، وكذلك أيضًا من رزقه الله علمًا ولم يرزق الآخر، فهذا من فضله، فالفضل بيد الله عزَّ وجلَّ يؤتيه من يشاء.

ومن فوائد هذا الحديث أيضًا: أن الأغنياء من الصحابة كالفقراء

حريصون على فعل الخير والتسابق فيه، ولهذا صنعوا مثل ما صنع الفقراء، فصاروا يسبحون ويحمدون ويكبرون خلف كل صلاة ثلاثًا وثلاثين. والله الموفق.

* * *

١٤٢١ ـ وَعَنْ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كانَ يَتَعَوَّذُ دُبُرَ الصَّلوات بِهؤُلاءِ الكَلِمَاتِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ والبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُرَدَّ إلى أَرْذَلِ العُمُرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ القَبرِ[١]» رواه البخاري.

١٤٢٢ ـ وعنْ معاذٍ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ وقالَ: «يَا مُعَاذُ. واللهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ» فقالَ: «أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لا تَدعَنَّ في دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسنِ عِبَادَتِكَ[٢]». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

الشـــرح

هذه من الأذكار التي تقال دبر الصلاة، الحديث الأول ـ عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يتعوذ بهذه الكلمات دبر كل صلاة: **«اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من فتنة**

---

(١) رواه البخاري: كتاب الدعوات، باب الاستعاذة من فتنة الغنى، رقم(٥٨٩٩).

(٢) رواه أحمد (٥/ ٢٤٤)، وأبوداود: كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، رقم(١٣٠١)، والنسائي: كتاب السهو، باب نوع آخر من الدعاء، رقم(١٢٨٦).

القبر».

وكذلك حديث معاذ بن جبل أن النبي ﷺ كان يقول دُبر كل صلاة: «**اللهم أعني على ذكرك وعلى شكرك وعلى حسن عبادتك**»، فكلمة «دبر» القاعدة فيها أنه إذا كان المذكور أذكارًا فإنه يكون بعد السلام، وإذا كان المذكور دعاء فإنه يكون قبل السلام؛ لأن ما قبل السلام وبعد التشهد هو دبر الصلاة، وكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: دبر الشيء من الشيء كما يُقال دبر الحيوان لمؤخرته، وعلى هذا فيكون حديث سعد بن أبي وقاص وحديث معاذ بن جبل يكون هذا الدعاء قبل أن تسلم، إذا انتهيت من التشهد ومن قولك: أعوذ بالله من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال، تقول: اللهم إني أعوذ بك من البخل والجبن، وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من فتنة القبر. هذه خمسة أشياء تستعيذ بالله منهن:

الأول: البخل: وهو الشح بالمال.

والثاني: الجبن: وهو الشح بالنفس. فالبخل أن يمنع الإنسان ما يجب عليه بذله من ماله من زكاة أو نفقات أو إكرام ضيف أو غير ذلك، وأما الجبن فأن يشح الإنسان بنفسه، لا يقدم في جهاد يخشى أن يقتل ولا يتكلم بكلام حق يخشى أن يسجن، وما أشبه ذلك، فهذا جبن.

وأما «**أعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر**» أرذل يعني أرداه وأنقصه، وذلك على وجهين:

الوجه الأول: أن يحدث للإنسان حادث فيختل به عقله فيهذي فيرد

إلى أرذل العمر ويصير كالصبي.

والوجه الثاني: أو أن يكون ذلك عن كبر؛ لأن الإنسان كلما كبر وبلغ أربعين سنة بدأ يأخذ في النقص ولكن الناس يختلفون، منهم من ينقص كثيرًا، ومنهم من ينقص قليلاً، لكنه لابد أن ينقص إذا بلغ الأربعين فقد استوى وكمل، والشيء إذا استوى وكمل أخذ في النقص.

فمن الناس من يرد إلى أرذل العمر في قواه الحسية وقواه العقلية، فيضعف بدنه ويحتاج إلى من يحمله ويخدمه ويوجهه وما أشبه ذلك، أو العقلية بأن يهذي ولا يدري ما يقول، فالرد إلى أرذل العمر يشمل هذا وهذا، ما كان بحادث وما كان بسبب تقدم السن به، ثم إن الإنسان إذا وصل إلى هذه الحال، نسأل الله أن يعيذنا وإياكم منها، فإن أهله يملونه، أهله الذين هم أشفق الناس به يتعبون منه ويملونه، وربما يتركونه في مكان تتكفل به الحكومة مثلاً، وهذا لا شكَّ أن الإنسان لا يرضاه ولا يرضى لنفسه أن يصل إلى هذا الحد، وتسقط أيضًا عنه الصلاة ويسقط عنه الصوم، وتسقط عنه الواجبات، لأنه وصل إلى حد يرتفع عنه التكليف.

«وأعوذ بك من فتنة الدنيا» وما أعظم فتنة الدنيا، وما أكثر المفتونين في الدنيا، لا سيما في عصرنا هذا، وعصرنا هذا هو عصر الفتنة، كما قال النبي ﷺ: «والله ما الفقر أخشى عليكم، وإنما أخشى أن تفتح عليكم الدنيا فتنافسوها كما تنافسها من قبلكم فتهلككم كما أهلكتهم[1]». هذا هو

(١) رواه البخاري: كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرًا، رقم(٣٧١٢)، ومسلم: =

الواقع في الوقت الحاضر، فُتحت علينا الدنيا من كل جانب، من كل شيء، من كل وجه، منازل كقصور الملوك، ومراكب كمراكب الملوك، وملابس ومطاعم ومشارب، فتحت فصار الناس الآن ليس لهم هم إلا البطون والفروج. فتنوا بالدنيا!!، نسأل الله العافية.

ففتنة الدنيا عظيمة، يجب على الإنسان أن ينتبه لها، ولهذا قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [فاطر: ٥].

«وأعوذ بك من فتنة القبر، أو من عذاب القبر»، وفتنة القبر أيضًا فتنة عظيمة، «إذا دفن الميت وانصرف عنه أصحابه حتى أنه ليسمع قرع نعالهم منصرفين عنه، أتاه ملكان يسألانه عن ربه ودينه ونبيه»، إن كان مؤمنًا خالصًا أجاب بالصواب، وقال: ربي الله، ونبيي محمد، وديني الإسلام. وإن كانه مرائيًا أو منافقًا أعاذنا الله وإياكم من ذلك، قال: هاها لا أدري، فيضرب بمرزبة من حديد، والمرزبة من الحديد قالوا: مثل المطرقة، وقد ورد في بعض الأحاديث أنه لو اجتمع عليها أهل منى ما أقلوها(١)، من عظمتها، نسأل الله العافية، فيصيح صيحة يسمعها كل شيء، يسمعها كل شيء إلا الثقلين يعني الجن والإنس، وهذا من رحمة الله ـ أن الله تعالى لا يُسْمعنا عذاب القبر ـ لأننا لو سمعنا الناس يعذبون في قبورهم ما طاب لنا

= كتاب الزهد والرقائق، رقم(٥٢٦١).

(١) مصنف عبد الرزاق (٣/ ٥٨٢).

عيش ولأصابنا الغم والحزن، إن كان قريبًا لنا اغتممنا من وجهين: من قرابته ومن هذه الأصوات المزعجة، وإن كان غير قريب أيضًا انزعجنا منه، ففتنة القبر فتنة عظيمة، نسأل الله أن يعيذنا وإياكم منها.

هذه أشياء كان النبي ﷺ يعلمها أصحابه، خمسة أشياء: «**اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر أو من فتنة القبر**».

أما حديث معاذ فإن النبي ﷺ قاله: «**إني أحبك، وأقسم قال: والله إني لأحبك**»، وهذه مرتبة عظيمة لمعاذ بن جبل رضي الله عنه أن نبينا ﷺ أقسم أنه يحبه، والمحب لا يدخر لحبيبه إلا ما هو خيرٌ له وإنما قال هذا له لأجل أن يكون مستعدًا لما يلقى إليه؛ لأنه يلقيه إليه من محب ثم قال له: «لا تدعن أن تقول دبر كل صلاة مكتوبة: **اللهم أعني على ذكرك وعلى شكرك وعلى حسن عبادتك**» ودبر كل صلاة يعني في آخر الصلاة قبل السلام، هكذا جاء في بعض الروايات أنه يقولها قبل السلام، وهو حق، وكما ذكرنا أن المقيد بالدبر، أي: دبر الصلاة إن كان دعاء فهو قبل التسليم، وإن كان ذكرًا فهو بعد التسليم، ويدل لهذه القاعدة أن رسول الله ﷺ قال في حديث ابن مسعود في التشهد لما ذكره، قال: ثم ليتخير من الدعاء ما شاء أو ما أحب أو أعجبه إليه، أما الذكر فقال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣].

«**أعنّي على ذكرك**» يعني كل قول يقرب إلى الله، كل شيء يقرب إلى

الله، كل تفكير يقرب إلى الله فهو من ذكر الله، «وشكرك» أي: شكر النعم واندفاع النقم، فكم من نعمة لله علينا، وكم نقمة اندفعت عنا، فنشكر الله على ذلك ونسأل الله أن يعيننا عليه؛ «وعلى حسن عبادتك»، وحسن العبادة يكون بأمرين، بالإخلاص لله عزَّ وجلَّ، كلما قوي الإخلاص كان أحسن، وبالمتابعة لرسول الله ﷺ والله الموفق.

* * *

١٤٢٣ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ: «إذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ باللهِ مِنْ أَرْبَع، يقولُ: اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحيَا والممَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المسيحِ الدَّجَّالِ[(١)]» رواه مسلمٌ.

١٤٢٤ ـ وَعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قالَ: كانَ رَسُولُ الله ﷺ إذَا قامَ إلى الصَّلاةِ يكونُ مِنْ آخِرِ ما يقُولُ بينَ التَّشَهُّدِ والتَّسْلِيمِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي مَا قَدَّمتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، ومَا أَسْرَفْتُ، ومَا أنتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ المُقَدِّمُ، وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لا إلهَ إلاَّ أنتَ[(٢)]» رواه مسلم.

الشــرح

ذكر المؤلف رحمه الله تعالى هذين الحديثين فيما يتعوذ به ويذكر الله به في الصلوات، ففي الأول عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

(١) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يُستعاذ منه في الصلاة، رقم(٩٢٤).

(٢) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم(١٢٩٠).

«إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع»، وفي لفظ التشهد الأخير، يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال**»، هذه أربعة أمور أمر النبي ﷺ أن نستعيذ بالله منها إذا فرغنا من التشهد يعني قبل التسليم.

«**أعوذ بالله من عذاب جهنم**» وهي النار، فتتعوذ بالله من عذابها، وهذا يشمل ما عملت من سوء تسأل الله أن يعفو عنك منه، وما لم تعمل من السوء تسأل الله أن يجنبك إياه.

«**ومن عذاب القبر**»، لأن القبر فيه عذاب، وهو عذاب دائم للكافرين، وعذاب قد ينقطع للعاصين، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه مر بقبرين فقال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستبرىء من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة**[١]».

و«**من فتنة المحيا والممات**»، فتنة المحيا ما يفتتن به الإنسان في حياته وتدور على شيئين، إما جهل وشبهة وعدم معرفة بالحق، فيشتبه عليه الحق بالباطل فيقع في الباطل فيهلك، وإما شهوة أي: هوى، بحيث يعلم الإنسان الحق لكنه لا يريده وإنما يريد الباطل.

وأما فتنة الممات فقيل: إنها فتنة القبر وهي سؤال الملكين للإنسان ـ إذا دفن ـ عن ربه ودينه ونبيه، وقيل: فتنة الممات هي ما يكون عند موت

---

(١) رواه البخاري: كتاب الوضوء، باب ما جاء في غسل البول، رقم(٢١١)، ومسلم: كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول، رقم(٤٣٩).

الإنسان، وذلك أن أشد ما يكون الشيطان حرصًا على إغواء بني آدم عند موتهم. يأتي الإنسان عند موته ويوسوس له ويشككه وربما يأمره بأن يكفر بالله عزَّ وجلَّ، فهذه الفتنة من أعظم الفتن. وأما فتنة المسيح الدجال، فالمسيح الدجال هو من يبعثه الله عزَّ وجلَّ عند قيام الساعة. رجلٌ خبيثٌ كاذب، مكتوب بين عينيه: كافر يقرؤه المؤمن الكاتب وغير الكاتب، ويفتن الله تعالى به؛ لأنه يمكّن له في الأرض بعض الشيء، يبقى في الأرض أربعين يومًا، اليوم الأول طوله طول السنة الكاملة، والثاني طول الشهر والثالث طوله أسبوع، والرابع كسائر الأيام.

يدعو الناس إلى أن يكفروا بالله، وأن يشركوا به، يقول: أنا ربكم، ومعه جنة ونار، لكنها جنة فيما يرى الناس، ونارٌ فيما يرى الناس، وإلا فحقيقة جنته أنها نار، وحقيقة ناره أنها جنة، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ فيغتر الناس به ويُفتتن به مَنْ شاء الله أن يفتتن، وفتنته عظيمة فإن النبي ﷺ قال: «**ما في الدنيا فتنة أعظم من ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال**[1]»، وقال ﷺ: «**إني أنذركموه وما من نبيٍّ إلا قد أنذره قومه**[2]» ولهذا خصه من بين فتنة المحيا بأن فتنته عظيمة. نسأل الله أن يعيذنا وإياكم منها.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال، رقم(٥٢٣٩).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب كيف يعرض الإسلام على الصبي، رقم(٢٨٢٩)، ومسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد، رقم(٥٢١٥).

وهذه الأربع يذكرها الإنسان قبل أن يسلم، واختلف العلماء رحمهم الله، هل هذا واجب أو سنة؟ فأكثر العلماء على أنه سنة وأن الإنسان لو تركه لم تبطل صلاته، وقال بعض أهل العلم: إنه واجب، وأنه لو ترك ذلك فصلاته باطلة وعليه أن يُعيدها. وقد أمر طاووس وهو أحد كبار التابعين ابنه حين لم يقرأ هذه التعويذات الأربع أمره أن يعيد صلاته. فينبغي للإنسان أن لا يدعها، وأن يحرص عليها لما فيها من الخير الكثير، ولئلا يؤدي بصلاته إلى أنها تكون باطلة عند بعض أهل العلم. والله الموفق.

* * *

١٤٢٥ - وعَنْ عَائشة رضي الله تعالى عنها قَالَتْ: كانَ النبيُّ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يقولَ في ركُوعِهِ وَسُجُودِهِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وبحمدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْلي[1]» متفقٌ عليه.

١٤٢٦ - وعَنْهَا رضي الله عنها أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ في ركوعِهِ وَسُجودِهِ: «سُبُّوحٌ قدُّوسٌ رَبُّ الملائكةِ والرُّوحِ» رواه مسلم.

١٤٢٧ - وعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «فَأَمَّا الرُّكوعُ فَعَظِّموا فيه الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا في الدُّعاءِ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لكُمْ[2]» رواه مسلم.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب الدعاء في الركوع، رقم(٧٥٢)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب ما يُقال في الركوع والسجود، رقم(٧٤٦).

(٢) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، رقم(٧٣٨).

الشـــرح

هذه أذكار في أحوال معينة، فمنها ما نقله المؤلف ـ رحمه الله ـ عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي» وهذا بعد أن أنزل الله عليه ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: ١ ـ ٣].

وهذه السورة هي أَجَلُ رسول الله ﷺ فإن الله نعاه إلى نفسه بأنه إذا جاء نصر الله والفتح فقد قرب أجله، كما فهم ذلك ابن عباس رضي الله عنهما فإن ابن عباس رضي الله عنهما كان صغير السن، وكان عمر رضي الله عنه يحضره مع مجالس الرجال وكبار القوم، فقال بعضهم: لماذا يُحضِرُ عمر ابن عباس دون غيره؟ فأراد أن يبين لهم رضي الله عنه فضل ابن عباس، فقال لهم يومًا من الأيام: ما تقولون في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾. ما مغزى هذه السورة؟ قالوا: معناها أنه إذا جاء الفتح فسبح بحمد ربك واستغفره، فقال: ما تقول يا ابن عباس؟ قال: أقول هذا أجل رسول الله ﷺ، أن الله أعطاه علامة وهي الفتح والنصر إذا جاءت فقد قرب أجله. فقال عمر: ما فهمتُ منها إلا ما فهمتَ.

فالحاصل أن في هذه الآية أمر الله نبيه أن يسبح بحمد ربه ويستغفره،

وكان ﷺ يفعل ذلك، يكثر أن يقول في ركوعه وكذلك في سجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفرلي». ومعنى هذا أنك تثني على الله عزَّ وجلَّ بكمال صفاته وانتفاء صفات النقص عنه وتسأله المغفرة.

أما حديثها الثاني فكان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده «سبوح قدوس رب الملائكة والروح[1]» يعني: أنت سبوح قدوس، وهذه مبالغة في التنزيه وأنه جلَّ وعلا سبوح قدوس رب الملائكة وهم جند الله عزَّ وجلَّ، عَالَم لا نشاهدهم وأما الروح فهو جبريل وهو أفضل الملائكة. فينبغي للإنسان أن يكثر في ركوعه وسجوده من قوله: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي»، تأسيًا برسول الله ﷺ وأن يقول كذلك في ركوعه وسجوده: «سبوح قدوس رب الملائكة والروح».

أما حديث ابن عباس رضي الله عنهما فقال: «أما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء». هذا طرف من حديث أوله: «ألا وإني نهيت أن أقرأ القرآن راكعًا أو ساجدًا، فأما الركوع فعظموا فيه الرب وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم»، أي: حري أن يستجاب لكم، لأن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد. والركوع لا يجوز لأحد أن يقرأ القرآن فيه، ولا يجوز أن يقرأ القرآن وهو ساجد، لكن له أن يدعو بالدعاء الذي يوافق القرآن مثل أن يقول مثلاً: ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين،

---

(١) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب ما يُقال في الركوع والسجود، رقم(٧٥٢).

أما أن يقرأ القرآن فهذا حرام، يحرُم عليه أن يقرأ وهو راكع أو يقرأ وهو ساجد، الركوع له التعظيم يعظم ربه، سبحان ربي العظيم، سبحان الملك القدوس وما أشبه ذلك. في السجود يقول: سبحان ربي الأعلى، سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي، ويدعو، ويكثر من الدعاء فقمن أن يُستجاب له أي حري: أن يُستجاب له. وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه.

* * *

١٤٢٨ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «أَقْرَبُ ما يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكثِرُوا الدُّعَاء[1]» رواه مسلم.

١٤٢٩ ـ وعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يقُولُ في سُجُودِهِ: «اللهُمَّ اغفِرْلي ذَنْبِي كُلَّهُ دِقَّهُ وَجِلَّهُ، وَأَوَّلهُ وآخِرَهُ، وَعَلاَنِيَتَهُ وَسِرَّهُ[2]» رواه مسلم.

الشرح

هذان الحديثان في بيان دعاء وأذكار مخصوصة ذكرها المولف ـ رحمه الله ـ في باب فضل الدعاء، فمنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**»، وذلك لأن الإنسان إذا سجد فإنه يضع أشرف ما به من الأعضاء في أماكن وضع الأقدام التي توطأ بالأقدام، وكذلك أيضًا يضع أعلى ما في جسده، حذاء أدنى ما في جسده يعني أن وجهه أعلى ما في جسده، وقدميه أدنى ما في

---

(١) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب ما يُقال في الركوع والسجود، رقم(٧٤٤).

(٢) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب ما يُقال في الركوع والسجود، رقم(٧٤٥).

جسده فيضعهما في مستوى واحد خضوعًا وتذللاً وتواضعًا لله عزَّ وجلَّ، ولهذا كان أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد، وقد أمر النبي ﷺ فيما سبق بالإكثار من الدعاء في حال السجود، فيجتمع في تلك الهيئة والمقال تواضعًا لله عزَّ وجلَّ، ولهذا يقول الإنسان في سجوده: سبحان ربي الأعلى، إشارة إلى أنه جلَّ وعلا هو العلي الأعلى في ذاته وفي صفاته وأن الإنسان هو السافل النازل بالنسبة لجلال الله تعالى وعظمته.

أما الحديث الثاني ففيه أن النبي ﷺ كان يقول في صلاته: «**اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله، وعلانيته وسره وأوله وآخره**». وهذا من باب التبسط في الدعاء والتوسع فيه؛ لأن الدعاء عبادة فكل ما كرره الإنسان ازداد عبادة لله عزَّ وجلَّ، ثم إنه في تكراره هذا يستحضر الذنوب كلها السر والعلانية وكذلك ما أخفاه وكذلك دقه وجله، وهذه هي الحكمة في أن النبي ﷺ فصَّل بعد الإجمال، فينبغي للإنسان أن يحرص على الأدعية الواردة عن رسول الله ﷺ، لأنها أجمع الدعاء وأنفع الدعاء، وفقنا الله وإياكم لما فيه الخير والصلاح.

* * *

١٤٣٠ ـ وعَنْ عائشةَ رضي الله عنها قَالَتْ: افتَقَدْتُ النَّبيَّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَتَحَسَّسْتُ، فَإِذَا هُوَ رَاكِعٌ ـ أَوْ سَاجِدٌ ـ يقولُ: «سُبْحانَكَ وَبِحمدِكَ لا إله إلاَّ أَنْتَ»، وفي روايةٍ: فَوَقَعت يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمِيْهِ، وَهُوَ في المَسْجِدِ، وهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وبِمُعَافاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وأَعُوذُ

بِكَ مِنْكَ، لا أُحْصي ثَناءً عليكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ[١]» رواه مسلم.

١٤٣١ ـ وعَنْ سعدِ بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه قالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ فقال: «أَيعجِزُ أَحَدُكم أنْ يَكْسِبَ في كلِّ يَومٍ ألفَ حَسَنَةٍ!» فَسَأله سَائلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كيفَ يَكسبُ ألفَ حسنةٍ؟ قالَ: «يُسَبِّح مائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فيُكْتَبُ لَهُ ألفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلفُ خَطِيئَةٍ[٢]» رواه مسلم.

قال الحُمَيْدِيُّ: كَذَا هُوَ في كِتَابِ مسلم: «أَوْ يُحَطُّ» قالَ البَرْقَانِيُّ: ورواه شُعْبَةُ، وأبو عَوَانَةَ، ويَحيَى القَطَّانُ، عَنْ مُوسى الذي رواه مسلم من جِهَتِهِ فقالوا: «ويَحِطُّ» بغَيْرِ ألفٍ».

الشــرح

هذان الحديثان في بيان الذكر وفضله، الحديث الأول عن عائشة رضي الله عنها أنها افتقدت النبي ﷺ ذات ليلة، فخرجت تتحسس عنه، لأنها رضي الله عنها هي أحب نسائه إليه وهي تحبه أيضًا، فتخشى أن يكون أصابه شيء، فذهبت تتحسس فوجدته ﷺ في المسجد وهو ساجد يدعو الله تبارك وتعالى بهذا الدعاء، قالت: ووقعت يدي على بطون قدميه وهو ساجد، واستدل العلماء بذلك على أن الساجد ينبغي له أن يضم قدميه بعضهما إلى بعض ولا يفرقهما؛ لأنه لا يمكن أن تقع اليد الواحدة على

---

(١) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب ما يُقال في الركوع، رقم(٧٥١).

(٢) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم(٤٨٦٦).

قدمين متفرقتين، وكذلك هو أيضًا في صحيح ابن خزيمة أن النبي ﷺ كان يضم رجليه في السجود، أما الركبتان فهما على طبيعتهما لا يفرقهما ولا يضمهما بل على طبيعتهما.

وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام: «**اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك**»، والمعنى: أنه ﷺ يستعيذ بالله عزَّ وجلَّ بالأعمال الصالحة عن الأعمال السيئة؛ لأن الأعمال السيئة توجب الغضب والسخط والأعمال الصالحة توجب الرضا، والشيء إنما يُداوى بضده، فالسخط ضده الرضا، فيستعيذ بالرضا من السخط.

«**وبمعافاتك من عقوبتك**» يعني أستعيذ بمعافاتك من الذنوب وآثارها وعقوباتها من عقوبتك على الذنوب، وهذا يتضمن سؤال المغفرة، و«**أعوذ بك منك**»، وهذا أشمل وأعم، أنه يتعوذ بالله من الله عزَّ وجلَّ، وذلك لأنه لا منجى ولا ملجأ من الله إلا إليه، لا أحد ينجيك من عذاب الله إلا الله عزَّ وجلَّ، فتستعيذ بالله من الله سبحانه وتعالى، أي: تستعيذ به من عقوبته وغير ذلك مما يقدره؟ فدل ذلك على ما ذكرنا من انضمام القدمين في السجود، ودل هذا على أن النبي ﷺ كان يصلي أحيانًا النافلة في المسجد مع أن الأفضل أن تكون في البيت كما قال رسول الله ﷺ: «**أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة**[١]» لكنه عليه الصلاة والسلام أحيانًا يصلي

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب صلاة الليل، رقم(٦٨٩)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها، رقم(١٣٠١).

النافلة في المسجد.

وفيه أيضًا دليلٌ على محبة عائشة لرسول الله ﷺ ولا غرابة، فإنه عليه الصلاة والسلام كانت هي أحب نسائه اللاتي عنده، ولا يساميها امرأة، اللهم إلا خديجة رضي الله عنها فإن خديجة هي أول نسائه ﷺ ولم يتزوج عليها أحدًا حتى ماتت، وكان يذكرها دائمًا أي يذكر خديجة، ولكن عائشة رضي الله عنها هي أحب نسائه الموجودات في عهد عائشة.

ومن فوائد هذا الحديث: أن الإنسان يستعيذ بصفات الله عزَّ وجلَّ من ضدها بالرضا من السخط، وبالمعافاة من العقوبة، وأنه لا ملجأ له من الله إلا إليه، فيستعيذ بالله منه تبارك وتعالى. والله الموفق.

تنبيه: لا يجوز للإنسان وهو ساجد أن يرفع يديه أو إحدى يديه أو رجليه أو إحدى رجليه؛ لأن الواجب السجود على الأعضاء السبعة: الجبهة مع الأنف، والكفين، والركبتين، وأطراف القدمين فإن رفعهما حتى قام من السجود فصلاته باطلة، أما إن رفع ثم نزل بسرعة فأرجو أن لا يكون عليه إعادة للصلاة.

* * *

١٤٣٣ - وَعَنْ أُمِّ المؤمنينَ جُوَيرِيَةَ بنتِ الحَارِثِ رضي الله عنها أَنَّ النبي ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِين صَلَّى الصُّبْحَ وِهِيَ في مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ، فقالَ: «ما زِلْتِ عَلَى الحال الَّتِي فَارَقْتُكَ عَلَيْهَا؟» قالَتْ: نَعَمْ. فقال النبيُّ ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلَماتٍ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ اليَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ الله وبحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَى نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرَشِهِ،

وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ[١]» رواه مسلم.

وفي رواية له: «سُبْحَانَ الله عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ اللهِ رِضى نَفْسِهِ، سُبْحَانَ اللهِ زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ اللهِ مِدادَ كَلِمَاتِهِ».

وفي رواية الترمذي: «أَلا أُعَلِّمك كَلِمَاتٍ تَقُولِينَها؟ سُبْحانَ الله عَدَدَ خلْقِهِ، سُبْحَانَ الله عَدَدَ خلْقِهِ، سُبْحَانَ الله عَدَدَ خلْقِهِ، سُبْحَانَ اللهِ رِضى نَفْسِهِ، سُبْحَانَ اللهِ رِضى نَفْسِهِ، سُبْحَانَ الله رِضى نَفْسِهِ، سُبْحَانَ اللهِ زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ الله زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ اللهِ زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ الله مِدَادَ كَلِمَاتِهِ، سُبْحَانَ الله مِدَادَ كَلِمَاتِهِ، سُبْحانَ الله مِدَادَ كَلِمَاتِهِ[٢]».

الشـــرح

هذه الأحاديث من الأحاديث التي فيها بيان فضيلة نوع من أنواع الذكر، وهو ما روته أم المؤمنين جويرية بنت الحارث عن النبي ﷺ أنه خرج من عندها الفجر ثم رجع إليها ضحى، وهي تسبح وتهلل فبين لها ﷺ أنه قال بعدها كلمات تزن ما قالت منذ الفجر أو منذ الصبح: «سبحان الله وبحمده عدد خلقه» ثلاث مرات، «سبحان الله وبحمده رضا نفسه» ثلاث مرات، «سبحان الله وبحمده زنة عرشه» ثلاث مرات، «سبحان الله وبحمده مداد كلماته» ثلاث مرات.

(١) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التسبيح أول النهار وعند النوم، رقم(٤٩٠٥).

(٢) رواه الترمذي: كتاب الدعوات، باب في دعاء النبي ﷺ، رقم(٣٤٧٨).

أما «سبحان الله وبحمده عدد خلقه»: فمعناه أنك تسبح الله عزَّ وجلَّ وتحمده عدد مخلوقاته، ومخلوقات الله عزَّ وجلَّ لا يحصيها إلا الله كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

وأما «سبحان الله وبحمده زنة عرشه» وزنة عرشه لا يعلم ثقلها إلا الله سبحانه وتعالى؛ لأن العرش أكبر المخلوقات التي نعلمها، فإن النبي ﷺ يروى عنه أنه قال: «إن السموات السبع والأرضين السبع في الكرسي كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض، وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على هذه الحلقة[1]» إذن فهو مخلوق عظيمٌ لا يعلم قدره إلا الله عزَّ وجلَّ.

وأما «سبحان الله وبحمده رضا نفسه» فيعني: أنك تسبح الله وتحمده حمدًا يرضى به الله عزَّ وجلَّ، وأي حمد يرضى به الله إلا وهو أفضل الحمد وأكمله.

وأما «فسبحان الله وبحمده مداد كلماته» والمداد ما يُكتب به الشيء وكلمات الله تعالى لا يقارن بها شيء قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧]. وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]. فكلمات الله تعالى لا نهاية لها.

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٢/ ٧٧).

فالمهم أنه ينبغي لنا أن نحافظ على هذا الذكر. «سبحان الله وبحمده عدد خلقه» «ثلاث مرات» «سبحان الله وبحمده رضا نفسه» «ثلاث مرات» «سبحان الله وبحمده زنة عرشه» «ثلاث مرات» «سبحان الله وبحمده مداد كلماته» «ثلاث مرات» فيكون الجميع اثنا عشرة مرة.

* * *

١٤٣٤ ـ وَعَنْ أَبِي مُوسى الأشْعَرِيِّ رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «مَثَلُ الَّذِي يَذكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لا يَذكُرُهُ، مَثَلُ الحَيِّ والمَيِّتِ[١]» رواه البخاري.

ورواه مسلم فقال: «مَثَلُ البَيْتِ الَّذِي يُذكَرُ الله فيه، والبَيتِ الَّذي لا يُذْكَرُ الله فيه، مَثَلُ الحَيِّ والمَيِّتِ»[٢].

١٤٣٥ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ: «يَقُولُ الله تعالى: أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَني في نَفْسِهِ، ذَكَرتُهُ في نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي في مَلإٍ ذَكَرْتُهُ في مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ[٣]» متفقٌ عليه.

١٤٣٦ ـ وَعَنْهُ قال: قَالَ رَسُول اللهِ ﷺ: «سَبَقَ المُفَرِّدُونَ» قالوا: وَمَا المُفَرِّدُونَ يا رَسُولَ الله؟ قالَ: «الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا والذَّاكِرَاتُ[٤]» رواه مسلم.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عزَّ وجلَّ، رقم(٥٩٢٨).

(٢) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها، رقم(١٢٩٩).

(٣) رواه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ويحذركم الله نفسه، رقم(٦٨٥٦)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب الحث على ذكر الله تعالى، رقم(٤٨٣٢).

(٤) رواه مسلم: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ويحذركم الله نفسه، رقم(٤٨٣٤).

روى: «المُفرِّدُونَ» بتشديد الراء وتخفيفها، والمَشْهُورُ الَّذِي قَالَهُ الجمهورُ: التَّشْديدُ.

الشـــرح

أما الحديث الأول فقد قال فيه رسول الله ﷺ: «مثل الذي يذكر الله، والذي لا يذكر الله كمثل الحي والميت»وذلك لأن الذي يذكر الله تعالى قد أحيا الله قلبه بذكره وشرح له صدره، فكان كالحي، وأما الذي لا يذكر الله فإنه لا يطمئن قلبه، والعياذ بالله، ولا ينشرح صدره للإسلام، فهو كمثل الميت، وهذا مثل ينبغي للإنسان أن يعتبر به وأن يعلم أنه كلما غفل عن ذكر الله عزَّ وجلَّ فإنه يقسو قلبه وربما يموت قلبه والعياذ بالله.

وأما الحديثان الأخيران: ففيهما أيضًا دليلٌ على فضيلة الذكر، وهو أن الإنسان إذا ذكر الله عزَّ وجلَّ في نفسه ذكره الله في نفسه، وإن ذكره في ملإ ذكره الله في ملإ خير منهم يعني: إذا ذكرت ربك في نفسك إما أن تنطق بلسانك سرًّا ولا يسمعك أحد، أو تذكر الله في قلبك فإن الله تعالى يذكرك في نفسه، وإذا ذكرته في ملإ أي: عند جماعة فإن الله تعالى يذكرك في ملإ خير منهم، أي في ملإ من الملائكة يذكرك عندهم ويعلي ذكرك ويثني عليك جل وعلا.

ففي هذا دليلٌ على فضيلة الذكر، وأن الإنسان إذا ذكر الله عند ملإ كان هذا أفضل مما إذا ذكره في نفسه، إلا أن يخاف على نفسه من الرياء، فإن خاف الرياء فلا يجهر، ولكن لا يكون في قلبه وساوس بأن يقول: إذا

ذكرت الله جهرًا فهذا رياء، فلا أذكر الله. فليدع هذه الوساوس ويذكر الله تعالى عند الناس وفي نفسه حتى يذكره الله عزَّ وجلَّ كما ذكر ربه.

وأما حديث أبي هريرة الثالث: فهو أن النبي ﷺ قال: «سبق المفردون» قالوا: وما المفردون؟ قال: «الذاكرون الله كثيرًا، والذاكرات» فهذا دليلٌ على أن الذاكرين الله كثيرًا لهم السبق على غيرهم، لأنهم عملوا أكثر من غيرهم، فكانوا أسبق إلى الخير. والله الموفق.

* * *

١٤٣٧ - وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقولُ: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ: لا إله إلا الله[١]». رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

١٤٣٨ - وَعَنْ عَبد الله بن بسر رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إن شرائع الإسلام قد كَثُرَتْ عَلَيَّ فأخبرني بشيء أتشبث به. قال: «لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله[٢]» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

١٤٣٩ - وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «مَنْ قالَ: سُبْحَانَ اللهِ وبَحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ في الجَنَّةِ[٣]» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

---

(١) رواه الترمذي: كتاب الدعوات، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة، رقم(٣٣٠٥)، وابن ماجه: كتاب الأدب، باب فضل الحامدين، رقم(٣٧٩٠).

(٢) رواه أحمد (٤/١٨٨)، والترمذي: كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الذكر، رقم(٣٢٩٧)، وابن ماجه: كتاب الأدب، باب فضل الذكر، رقم(٣٧٨٣).

(٣) رواه الترمذي: كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل التسبيح والتكبير والتهليل، رقم(٣٣٨٦).

١٤٤٠ ـ وَعَنِ ابنِ مَسْعودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «لَقِيتُ إبراهيمَ ﷺ لَيْلَةَ أسرِيَ بِي، فقالَ: يا محمَّدُ أَقْرِىء أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلاَمَ، وأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُربَةِ، عَذْبَةُ الماءِ، وأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسِهَا: سُبْحَانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إله إلاَّ الله، والله أَكْبَرُ[1]» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

١٤٤١ ـ وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيككم، وأَرْفَعِهَا في دَرَجَاتِكم، وَخَيْرٍ مِنْ إنْفَاقِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ وَخَيرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلقَوا عَدُوَّكم فَتَضربُوا أعْنَاقَهُمْ، وَيَضرِبوا أَعْنَاقَكُم؟» قالوا: بَلَى قالَ: «ذِكْرُ اللهِ تعالى[2]». رواه الترمذي، قال الحاكم أبو عبد الله: إسناده صحيحٌ.

الشـــرح

هذه الأحاديث التي ساقها المؤلف ـ رحمه الله ـ كلها في مجموعها تدل على فضيلة الذكر كما سبق، ولكن في بعضها ما فيه مِنْ ضعف: فمنها أن النبي ﷺ قال له رجل: إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فقال له النبي ﷺ: «لا يزال لسانك رطباً بذكر الله عزَّ وجلَّ» هذا الحديث فيه ضعف لكن إن صح فالمعنى: أن هذا الرجل كثرت عليه النوافل، أما الفرائض فلا يغني

---

(١) رواه الترمذي: كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل التسبيح والتكبير والتهليل، رقم(٣٣٨٤).

(٢) رواه أحمد (٥/ ١٩٥)، والترمذي: كتاب الدعوات، باب منه، رقم(٣٢٩٩)، وابن ماجه: كتاب الأدب، باب فضل الذكر، رقم(٣٧٨٠)، والحاكم في المستدرك: (١/ ٦٧٣).

عنها قول: «**لا إله إلا الله**» ولا غيره، الفرائض لابد منها، أما النوافل إذا شق على الإنسان بعضها فالذكر قد يسد ما يحصل به الخلل ومنها أيضًا أن الرسول ﷺ قال: «**أفضل الذكر لا إله إلا الله**»، ولا شكَّ أن هذه الكلمة كلمة عظيمة فهي التي يدخل بها الإنسان في دين الإسلام، فهي مفتاح الإسلام كما جاء في الحديث أن «مفتاح الجنة هو لا إله إلا الله».

ومنها: أيضًا فضيلة «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» وأن هذه غراس الجنة، يعني أن الإنسان إذا قالها يغرس له في الجنة غرسًا في كل كلمة.

ومنها: أن ذكر الله عزَّ وجلَّ من أفضل الأعمال، وأوفاها وأحبها إلى الله عزَّ وجلَّ، بل هو من أسباب الثبات عند اللقاء كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

هذه الأحاديث كلها تدل على فضيلة الذكر وأنه ينبغي للإنسان أن يكثر من ذكر الله، وقد مر علينا قول النبي ﷺ: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**» والله الموفق.

* * *

١٤٤٢ ـ وَعَنْ سَعدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه أَنَّهُ دَخَلَ مَعَ رسولِ الله ﷺ عَلَى امْرَأةٍ وَبَيْنَ يَدَيْهَا نوى ـ أَوْ حَصَى ـ تُسَبِّحُ بِهِ فقال: «أُخبِرُكَ بِمَا هُوَ أَيسَرُ عَلَيْكَ مِنَ هذا ـ أَوْ أَفْضَلُ» فقالَ: «سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ في السَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ الله

عَدَدَ مَا هُوَ خَالِقٌ، والله أكبر مِثْلَ ذلكَ، والحمْدُ للهِ مِثْلَ ذلك، وَلاَ إله إلا الله مِثْلَ ذَلِكَ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللهِ مِثْلَ ذَلِكَ(١)». رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

١٤٤٣ ـ وعَنْ أَبِي مُوسى رضي الله عنهُ قالَ: قالَ لي رَسُولُ الله ﷺ: «ألا أدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ»؟ فقلت: بَلَى يا رسول الله قال: «لا حَوْلَ ولاَ قُوَّةَ إلاَّ باللهِ(٢)» متفق عليه.

الشــرح

هذان الحديثان في بيان فضل الذكر، وقد سبقت أحاديث كثيرة كلها تدل على فضل الذكر. فحديث سعد بن أبي وقاص في دخول النبي ﷺ على المرأة وبين يديها حصى أو نوى تسبح به، فقال: «**ألا أخبرك بما هو أفضل من ذلك؟!**» فذكر لها تسبيحًا سبق نظيره أو قريب منه، قوله ﷺ: «**سبحان الله وبحمده عدد خلقه**» (ثلاث مرات) «**سبحان الله وبحمده زنة عرشه**» (ثلاث مرات)، «**سبحان الله وبحمده رضا نفسه**» (ثلاث مرات) «**سبحان الله وبحمده مداد كلماته**» (ثلاث مرات) هذه اثنا عشر مرة فيها خيرٌ كثيرٌ، وسبق بيان ذلك.

أما حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟**» والاستفهام هنا للتشويق، يعني: يشوقه

---

(١) رواه أبوداود: كتاب الصلاة، باب التسبيح بالحصى، رقم(١٢٨٢)، والترمذي: كتاب الدعوات، باب في دعاء النبي ﷺ وتعوذه، رقم(٣٤٩١).

(٢) رواه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، رقم(٣٨٨٣)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، رقم(٤٨٧٥).

الرسول ﷺ إلى أن يستمع إلى ما يقول، قلت: بلى يا رسول الله. قال: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**» لأن هذه الكلمة فيها التبرؤ من الحول والقوة إلا بالله عزَّ وجلَّ، فالإنسان ليس له حول وليس له قوة. فلا يتحول من حالٍ إلى حال ولا يقوى على ذلك إلا بالله عزَّ وجلَّ، فهي كلمة استعانة إذا أعياك الشيء، وعجزت عنه قل: ««**لا حول ولا قوة إلا بالله**» فإن الله تعالى يعينك عليه، وليست هذه الكلمة كلمة استرجاع كما يفعله كثيرٌ من الناس إذا قيل له: حصلت المصيبة الفلانية. قال: لا حولا ولا قوة إلا بالله. ولكن كلمة الاسترجاع أن تقول: إنا لله وإليه راجعون، أما هذه فهي كلمة استعانة، وإذا أردت أن الله يعينك على شيء فقل: لا حول ولا قوة إلا بالله.

وكما ذكر الله تعالى في سورة الكهف قصة صاحب الجنتين قال له صاحبه: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩]. لكان هذا خيرًا لك وأبقى لجنتك، ولكنه دخلها وقال: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ۝٣٥ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ [الكهف: ٣٥]. فأعجب بها وأنكر قيام الساعة، فأرسل الله عليها حسبانًا من السماء فأصبحت صعيدًا زلقًا.

فالمهم أن كلمة «**لا حول ولا قوة إلا بالله**» كنزٌ من كنوز الجنة، تقولها أيها الإنسان عندما يعييك الشيء ويثقلك وتعجز عنه قل: «لا حول ولا قوة إلا بالله» ييسر الله لك الأمر؛ والله الموفق.

❊ ❊ ❊

٢٤٥ ـ باب ذكر الله تعالى قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا ومحدثًا وجنبًا وحائضًا إلا القرآن فلا يحل لجنب ولا حائض

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

١٤٤٤ ـ وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قالَتْ: كانَ رَسُولُ الله ﷺ يَذكُرُ الله تعالى عَلَى كُلِّ أحيَانِهِ[١]. رواه مسلمٌ.

١٤٤٥ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إذا أرادَ أَنْ يَأتِيَ أَهْلَهُ قالَ: بِسْمِ اللهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ ما رَزَقْتَنَا، فإنَّهُ إنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذلك، لم يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ[٢]» متفقٌ عليه.

الشـــرح

قال الحافظ النووي ـ رحمه الله تعالى ـ باب ذكر الله تعالى قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا: يعني أن الإنسان ينبغي له أن يذكر الله تعالى في كل حال قائمًا وقاعدًا وعلى جنبه.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الحيض، باب ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرها، رقم(٥٥٨).

(٢) رواه البخاري: كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا أتى أهله، رقم(٥٩٠٩)، ومسلم: كتاب النكاح، باب ما يستحب أن يقوله عند الجماع، رقم(٢٥٩١).

ثم استشهد ـ رحمه الله ـ بقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١]. في خلق السموات والأرض، يعني في ذات السموات، وذات الأرض بما فيهما من عجائب مخلوقات الله تعالى، آيات لأولي الألباب أولي العقول الذين يدركون ما بآيات الله من الحكم والأسرار، فالسماء واسعة عالية والأرض مسطحة مذللة للخلق فيها من آيات الله تعالى من البحار والأنهار والأشجار والجبال وغير ذلك، ما يستدل به على خالقها جلَّ وعلا.

وأما اختلاف الليل والنهار فاختلاف الليل والنهار في الطول والقصر والحر والبرد والرخاء والشدة والأمن والخوف والبؤس والعافية، وغير ذلك فيها أيضًا آيات عظيمة، والإنسان إذا طالع تاريخ البروج ورأى تقلبات الليل والنهار واختلافهما رأى من آيات الله العجيبة ما يزداد به إيمانه، وقوله: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٩١]. هذا هو الشاهد يذكرون الله في كل حال قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، في كل حال.

ثم ذكر ـ رحمه الله ـ حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يذكر الله على كل الأحيان. أي على كل الأزمان، في كل زمن يذكر الله قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا، حتى أن النبي ﷺ ندب للمسلم أن يذكر الله عند جماع أهله، فقال: «لو أن أحدكم أتى أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإنه إذا قضي بينهما ولد لم يضره الشيطان».

ففي هذا دليلٌ على أنه ينبغي لك أن تكثر من ذكر الله في كل حال. إلا أن العلماء قالوا: لا ينبغي أن يذكر الله تعالى في الأماكن القذرة، مثل أماكن قضاء الحاجة «المراحيض» ونحوها تكريمًا لذكر الله عزَّ وجلَّ عن هذه المواضع، هكذا ذكر بعض أهل العلم. والله أعلم.

*　*　*

٢٤٦ـ باب ما يقوله عند نومه واستيقاظه

١٤٤٦ ـ عن حُذَيفَةَ، وأبي ذر رضي الله عنهما قالا: كانَ رسولُ الله ﷺ إذا أَوَى إلى فِرَاشِهِ قالَ: «باسمِكَ اللَّهُمَّ أموتُ وأحيا» وإذا اسْتَيْقَظَ قالَ: «الحَمْدُ لله الذي أَحْيَانَا بَعْدَ ما أَمَاتَنَا وإِلَيْهِ النُّشورُ[1]» رواه البخاري.

الشــرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ (باب ما يقوله عند نومه واستيقاظه).

من نعمة الله سبحانه وتعالى علينا أن الله شرع لنا أذكارًا عند النوم والاستيقاظ والأكل والشرب، ابتداء وانتهاء، بل حتى عند دخول الخلاء وعند اللباس، كل هذا من أجل أن تكون أوقاتنا معمورة بذكر الله عزَّ وجلَّ، ولولا أن الله شرع لنا ذلك لكان بدعة، ولكن الله شرع لنا هذا من أجل أن تزداد نعمته علينا بفعل هذه الطاعات.

فمنها هذا الحديث الذي ذكره المؤلف عن حذيفة، وأبي ذر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: «**باسمك اللهم أموت وأحيا**» (إذا أوى) يعني: إذا ذهب إلى فراشه وأراد أن ينام قال: «**باسمك اللهم أموت وأحيا**»، لأن الله سبحانه وتعالى هو المحيي المميت، فهو المحيي يحيي من شاء، وهو المميت يميت من يشاء، فتقول: باسمك اللهم أموت وأحيا. أي: أموت على اسمك وأحيا على اسمك، ومناسبة

---

(١) رواه البخاري: كتاب الدعوات، باب وضع اليد اليمنى تحت الخد الأيمن، رقم(٥٨٣٩).

هذا الذكر عند النوم هو أن النوم موت، لكنه موت أصغر كما قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ [الأنعام: ٦٠]. وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]. ولهذا كان رسول الله ﷺ: إذا قام من الليل قال: «**الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور**» فتحمد الله الذي أحياك بعد الموت، وتذكر أن النشور - يعني الإخراج من القبور - يكون إلى الله عزَّ وجلَّ، فتتذكر ببعثك من موتتك الصغرى بعثك من موتتك الكبرى، وتقول: «**الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور**» وفي هذا دليلٌ على الحكمة العظيمة في هذا النوم الذي جعله الله راحة للبدن عما سبق وتنشيطًا فيما يستقبل، وأنه يذكر أيضًا بالحياة الأخرى، تذكر بذلك إذا قمت من قبرك بعد موتك حيًّا إلى الله عزَّ وجلَّ.

وهذا يزيدك إيمانًا بالبعث، والإيمان بالبعث أمر مهم، لولا أن الإنسان يؤمن بأنه سوف يبعث ويجازى على عمله ما عمل، ولهذا نجد كثيرًا أن الله يقرن الإيمان باليوم الآخر بالإيمان به عزَّ وجلَّ كما قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [النساء: ١٦٢]. وآيات كثيرةٌ في هذا.

فالحاصل: أنه ينبغي لك إذا أويت إلى فراشك أن تقول: «**باسمك اللهم أموت وأحيا**» وإذا استيقظت تقول: «**الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور**» والله الموفق.

* * *

٢٤٧- باب فضل حلق الذكر
والندب إلى ملازمتها والنهي عن مفارقتها لغير عذر

قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨].

١٤٤٧ - وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إنَّ لله تعالى مَلائِكَةً يَطُوفُونَ في الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فإذا وَجَدُوا قَوْمًا يَذكُرُونَ الله عَزَّ وجلَّ، تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إلى حَاجَتِكُمْ، فَيَحُفُّونَهم بِأجْنِحَتِهِم إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسأَلهُم ربُّهُم - وَهُوَ أَعْلَم -: ما يقولُ عِبَادِي؟ قال: يقولون: يُسَبِّحونكَ، وَيُكَبِّرونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ ويُمَجِّدونَكَ، فيقولُ: هل رَأونِي؟ فيقولون: لا وَاللهِ مَا رَأوْكَ، فَيَقُولُ: كَيْف لو رَأوْنِي؟! قالَ: يَقُولون: لو رَأوْكَ كانُوا أَشَدَّ لك عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لكَ تَمْجِيدًا، وأكثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا. فَيَقُولُ: فماذَا يَسألُونَ؟ قالَ: يَقُولونَ: يَسألُونَكَ الجَنَّةَ قالَ: يقولُ: وَهَلْ رَأوْهَا؟ قالَ: يقولونَ: لا واللهِ يَا رَبِّ مَا رَأوْهَا. قالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لو رَأوْهَا؟ قالَ: يَقُولُونَ: لو أنَّهُمْ رَأوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيهَا حِرْصًا، وأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وأَعْظَمَ فِيها رَغْبَةً. قالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قالَ: يَتَعوَّذُونَ مِنَ النَّارِ، فَيَقُولُ: وَهَلْ رَأوْهَا؟ قالَ: يقولون: لا والله مَا رَأوْهَا. فَيَقُولُ: كَيْفَ لو رَأوْهَا؟! قال: يَقُولون: لو رَأوها كانُوا أَشَدَّ منها فِرَارًا، وأشدَّ لها مَخَافَةً. قالَ: فيقُولُ: فَأُشْهِدُكم أنِّي قد غَفَرْتُ لهم، قالَ: يقولُ مَلَكٌ مِنَ الملائِكَةِ. فِيهم فُلانٌ لَيْسَ مِنهم، إنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قال: هُمُ الجُلَسَاءُ لا يَشْقَى بِهِم جَلِيسُهم[١]» متفقٌ عليه.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عزَّ وجلَّ، رقم(٥٩٢٩)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل مجالس الذكر، رقم(٤٨٥٤).

وفي رواية لمسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «إِنَّ للهِ مَلائِكَةً سَيَّارَةً فُضُلاً يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجلِسًا فيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يملأوا ما بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدوا إلى السَّمَاءِ، فَيَسأَلُهُمُ الله عزَّ وجلَّ ـ وَهُوَ أَعْلَمُ ـ مِنْ أَيْنَ جِئتُمْ؟ فَيَقُولون: جِئْنَا مِنْ عِنْدَ عِبَادٍ لَكَ في الأرْضِ: يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونكَ، ويُهَلِّلُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيَسْأَلُونَكَ، قالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُوني؟ قَالُوا: يَسألُونَكَ: جَنَّتَكَ. قالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قالُوا: لا، أَيْ رَبِّ. قالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونك: قال: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُوني؟ قالوا؟! من نَارِكَ يَا رَبِّ. قالَ: وَهَلْ رَأَوْ نَارِي؟ قالوا: لا، قال: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْ ناري؟! قالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، فيقول: قَد غفرتُ لهم، وأَعْطيتُهم مَا سَألوا، وَأَجَرْتُهم مم اسْتَجَارُوا. قال: فيقولونَ: رَبِّ فيهِمْ فُلانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ إِنَّمَا مَرَّ، فَجَلَسَ مَعَهُمْ، فيقولُ: ولهُ غَفَرْتُ، هُمُ القَوْمُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُم».

الشــرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ باب فضل حِلَق الذكر يعني الاجتماع على ذكر الله عزَّ وجلَّ. ثم ذكر الآية الكريمة ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨]. فأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يصبر نفسه مع هؤلاء القوم الفضلاء الشرفاء الكرماء، وصبر النفس يعني حبسها: احبس نفسك معهم فإن هؤلاء القوم خير من تجلس إليهم.

﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ﴾ أي: في أول النهار، وبالعشي في آخر

النهار، ومن ذلك إن شاء الله الاجتماع على صلاة الفجر وعلى صلاة العصر، لأن الأولى في الصباح والثانية في المساء غداة وعشيًّا.

﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ أي: يريدون وجهه، هذا دليلٌ على إخلاصهم لله عزَّ وجلَّ وأنهم لا يريدون من هذا الاجتماع والدعاء أن يمدحوا بذلك أو يقال: ما أعظم عبادتهم، ما أكثرها، ما أصبرهم عليها! لا يريدون هذا كله، يريدون وجه الله عزَّ وجلَّ.

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ﴾ يعني: لا تتجاوز عنهم وتفارقهم وتغض الطرف عنهم من أجل الدنيا، أما من أجل مصلحة أخرى أعظم مما هم عليه فلا بأس، لكن من أجل الدنيا فلا هؤلاء هم القوم، وهم أهل الدنيا والآخرة: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ يعني: لا تطع الغافل الذي غفل قلبه عن ذكر الله، وكان أمره فرطًا، واتبع هواه، وضاعت عليه دنياه، وضاعت عليه أخراه.

ففي هذه الآية الكريمة فضل الاجتماع على الذكر والدعاء، وفيها فضل الإخلاص، وأن الإخلاص هو الذي عليه مدار كل شيء وفيها أيضًا أن الإنسان لا ينبغي له أن يدع أحوال الآخرة والعبادات إلى أحوال الدنيا.

أما الأحاديث، فذكر المؤلف حديث أبي هريرة رضي الله عنه في صحيح البخاري، وصحيح مسلم: «**إن الله تعالى وكل ملائكة يسيحون في الأرض يطلبون حلق الذكر**» والملائكة عالم غيبي فاضل، خلقهم الله عزَّ وجلَّ من النور وجعلهم صمدًا لا أجواف لهم، فلا يأكلون ولا يشربون، لا يحتاجون إلى هذا ليست لهم بطون ولا لهم أمعاء، فهم صمد ولهذا لا

يأكلون ولا يشربون، وهم عالم غيبي لا يراهم البشر ولكن قد يُري الله تعالى الناس إياهم أحيانًا كما جاء جبريل عليه الصلاة والسلام على هيئة «رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه أحد من الصحابة»، وجلس إلى النبي ﷺ وسأله، فهذا قد يحدث أحيانًا، ولكن الأصل أن عالم الملائكة عالم غيبي. والملائكة كلهم خير ولهذا لا يدخلون الأماكن التي فيها ما يغضب الله عزَّ وجلَّ.

«فلا يدخلون بيتًا فيه صورة»، و«لا يصحبون رفقة فيها جرس» و«لا رفقة معهم كلب»، إلا الكلب المحلل الذي يجوز اقتناؤه، هؤلاء الملائكة وكّلهم الله عزَّ وجلَّ يسيحون في الأرض. فإذا وجدوا حلق الذكر جلسوا معهم، ثم حفوا هؤلاء الجالسين بأجنحتهم إلى السماء، يعني هؤلاء الملائكة من الأرض إلى السماء، ثم إن الله تعالى يسألهم ليظهر فضيلة هؤلاء القوم الذين جلسوا يذكرون الله ويسبحونه ويحمدونه ويهللونه ويكبرونه ويدعونه، وإلا فالله أعلم ـ عزَّ وجلّ ـ لماذا جلسوا، لكن ليظهر فضلهم ونبلهم، يسأل الملائكة: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك في الأرض، يسبحون ويهللون ويكبرون ويحمدون ويدعون. فيقول لهم: ماذا يريدون؟ قالوا: يريدون الجنة «اللهم اجعلنا ممن أرادها وكان من أهلها» قال: هل رأوها؟ قالوا: لا. قال: فكيف لو رأوها؟ قالوا: لكانوا أشد لها طلبًا، وأشد فيها رغبة، لأن الله عزَّ وجلَّ يقول: «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب**

بشر[١]»، ثم يسألهم: ماذا يدعون بالنجاة منه؟ قالوا: يسألونك النجاة من النار. هذا معنى الحديث. قال: هل رأوها؟ قالوا: لا. ما رأوها. قال: فكيف لو رأوها؟ قالوا: لكانوا أشد منها مخافة. فيقول الله عزَّ وجلَّ: أشهدكم أني قد غفرت لهم جميعًا، وإذا غفر الله للإنسان استحق أن يدخل الجنة وأن ينجو من النار. فيقول ملك من الملائكة: إن فيهم فلانًا، ما جاء للذكر، لكن جاء لحاجة فوجد هؤلاء القوم فجلس معهم. فيقول جلَّ وعلا: وله غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم.

ففي هذا الحديث دليلٌ على فضيلة مجالسة الصالحين، وأن الجليس الصالح ربما يعم الله سبحانه وتعالى بجليسه رحمته وإن لم يكن مثله؛ لأن الله تعالى قال: قد غفرت لهذا. مع أنه ما جاء من أجل الذكر والدعاء لكنه جاء لحاجة، وقال: «**هم القوم لا يشقى بهم جليسهم**»، وعلى هذا فيستحب الاجتماع على الذكر وعلى قراءة القرآن وعلى التسبيح والتحميد والتهليل وكل يدعو لنفسه، ويسأل الله لنفسه ويذكر لنفسه.

ومن الاجتماع ـ كما ذكرت من قبل ـ أن يجتمع المسلمون على صلاة الفجر، وصلاة العصر، لأنها ذكر: تسبيح وتكبير وتهليل وقراءة قرآن ودعاء، وقد ثبت عن النبي ﷺ أن الملائكة الموكلين ببني آدم يجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر. وفقنا الله وإياكم إلى ما يحبه ويرضاه.

---

(١) رواه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة، رقم(٣٠٠٥)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها، رقم(٥٠٥٠).

١٤٤٨ ـ وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه وعن أبي سعيد رضي الله عنهما قالا: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ الله عزَّ وجلَّ إلاَّ حَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ، وغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمنْ عِنْدَهُ[(١)]» رواه مسلم.

١٤٤٩ ـ وَعَنْ أبي واقدٍ الحارث بن عَوْفٍ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ في المَسْجِدِ، والنَّاسُ مَعَهُ، إذ أَقْبَلَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ، فأقْبَلَ اثْنَانِ إلى رَسُولِ الله ﷺ وَذَهَبَ وَاحِدٌ، فَوَقَفَا على رَسول الله ﷺ. فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فرأى فُرجَةً في الحَلْقَةِ، فَجَلَسَ فيها، وأَمَّا الآخرُ، فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثالثُ فَادبَرَ ذاهبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُول الله ﷺ قال: أَلاَ أُخْبِرُكم عَنِ النَّفَرِ الثَّلاثَةِ: أَمَّا أَحَدُهم، فَأوى إلى الله، فآواهُ الله إليهِ، وأما الآخرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ، وأَمَّا الآخرُ، فَأعرَضَ، فَأَعْرَضَ الله عنهُ[(٢)]» متفقٌ عليه.

الشرح

هذان الحديثان من الأحاديث التي ذكرها المؤلف ـ رحمه الله ـ فالأول أخبر فيه النبي ﷺ أنه ما جلس قوم يذكرون الله تعالى إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، وهذا يدل على فضل الاجتماع على ذكر الله عزَّ وجلَّ، ولا يلزم من هذا أن

---

(١) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم(٤٨٦٨).

(٢) رواه البخاري: كتاب العلم، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس، رقم(٦٤)، ومسلم: كتاب السلام، باب من أتى مجلسًا فوجد فرجة، رقم(٤٠٤٢).

يذكروا الله بصوت واحد، بل الحديث مطلق لكن لم يعهد عن السلف أنهم يذكرون ذكرًا جماعيًا كما يفعله بعض أهل الطرق من الصوفية وغيرها، وفيه أن هؤلاء المجتمعين تنزل عليهم السكينة، والسكينة هي طمأنينة القلب وخشوعه وإنابته إلى الله عزَّ وجلَّ، و«**تغشاهم الرحمة**» أي: تحيط بهم من كل جانب فيكونون أقرب إلى رحمة الله عزَّ وجلَّ، و«**حفتهم الملائكة**» أي: كانوا حولهم يحفون بهم إكرامًا لهم ورضا بما فعلوا، و«**ذكرهم الله فيمن عنده**»، أي في الملأ الأعلى، وقد مرَّ علينا أن الله تعالى قال: «**من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم**».

وأما **الحديث الثاني**: ففيه أيضًا أن النبي ﷺ كان جالسًا مع أصحابه في المسجد فأقبل ثلاثة نفر، يعني ثلاثة رجال، أما أحدهم فولى وأعرض ولم يأت إلى الحلقة، وأما الثاني فوجد في الحلقة فرجة فجلس، وأما الثالث فجلس خلف الحلقة كأنه استحيا أن يزحم الناس وأن يضيق عليهم، فلما فرغ النبي ﷺ قال: «**ألا أخبركم بنبأ القوم؟ أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله عزَّ وجلَّ**» وهو الذي جلس «**فآواه الله عزَّ وجلَّ إليه**» لأنه كان صادق النية في الجلوس مع النبي ﷺ فيسر الله له «**وأما الثاني فاستحيا فاستحيا الله منه**» لأنه ما زاحم ولا تقدم، «**أما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه**» لم يوفقه لأن يجلس مع هؤلاء القوم البررة الأطهار.

وفي الحديث إثبات الحياء لله عزَّ وجلَّ، ولكنه ليس كحياء المخلوقين، بل هو حياء كمالٍ يليق بالله عزَّ وجلَّ، وقد قال النبي ﷺ: «إن

الله حيي كريم» وقال الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٣].
والله سبحانه وتعالى يوصف بهذه الصفة لكن ليس مثل المخلوقين لأن الله سبحانه وتعالى يقول في القرآن ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

فكلما مر عليك صفة من صفات الله مشابهة لصفات المخلوقين في اللفظ فاعلم أنهما لا يستويان في المعنى لأن الله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾. فإذا مرَّ بك مثلاً أن الله استوى على العرش، فلا تظن أن استواءه على العرش كاستوائك أنت على ظهر البعير الذي قال فيه: ﴿ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ [الزخرف: ١٣]. وإذا قال الله تعالى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: ٦٤]. فلا تظن أن يدي الله جل وعلا مثل يديك، لأن الله ليس كمثله شيء، فجميع صفاته هو منفرد بها جل وعلا، وكما أننا نوحده في ذاته، ونوحده في العبادة، كذلك نوحده في صفاته سبحانه وتعالى. ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ والله الموفق.

* * *

١٤٥٠ ـ وَعَنْ أَبِي سعيد الخُدْرِي رضي الله عنه قالَ: خَرَجَ مَعَاوِيَة رضي الله عنه عَلَى حَلْقَةٍ في المَسْجِدِ، فقالَ: ما أجْلسَكُمْ؟ قالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ الله. قَالَ: آللهِ ما أجْلسَكُمْ إلاَّ ذَاكَ؟ قالوا: مَا أجْلَسَنَا إلاَّ ذَاكَ، قال: أَمَا إِنِّي لم أستَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، ومَا كانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلتي مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أقلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مني: إنَّ رَسُولَ الله ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ من أصحابِهِ فقال: «مَا أجْلسَكُمْ؟» قالوا: جَلَسْنَا نَذكُرُ الله، وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا للإسلامِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا. قالَ: «آللهِ مَا أجْلسَكُمْ إلاَّ ذَاكَ؟

قالوا: آللهِ ما أجْلَسَنَا إلاَّ ذَاكَ. قالَ: «أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، ولِكنَّهُ أَتَانِي جِبريلُ فَأَخْبَرَنِي أنَّ الله يُبَاهِي بِكُمُ المَلائِكَةَ[١]» رواه مسلم.

الشرح

إن هذا الحديث من الأحاديث التي تدل على فضيلة الاجتماع على ذكر الله عزَّ وجلَّ، وهو ما رواه أبو سعيد الخدري عن معاوية رضي الله عنهما أنه خرج على حلقة في المسجد فسألهم على أي شيء اجتمعوا، فقالوا: نذكر الله. فاستحلفهم رضيَ الله عنه أنهم ما أرادوا إلا ذلك، فحلفوا له، ثم قال لهم: إني لا أستحلفكم تهمة لكم، ولكني رأيت النبي ﷺ خرج على قوم وذكر مثله. فدل ذلك على فضيلة هذا الاجتماع على ذكر الله، وأن الله عزَّ وجلَّ يباهي بهم الملائكة، فيقول مثلاً: انظروا إلى عبادي اجتمعوا على ذكري. وما أشبه ذلك، مما فيه المباهاة، ولكن ـ كما ذكرنا سابقًا ـ ليس هذا الاجتماع أن يجتمعوا على الذكر بصوت واحد، ولكن يتذكرون نعمة الله عليهم بما أنعم عليهم من نعمة الإسلام وعافية البدن والأمن، وما أشبه ذلك، فإن ذكر نعمة الله من ذكر الله عزَّ وجلَّ، فيكون في هذا دليلٌ على فضل جلوس الناس ليتذاكروا نعمة الله عليهم، ولهذا كان بعض السلف إذا مرَّ بأخيه أو جاءه أخوه قال: اجلس بنا نؤمن ساعة، أي اجلس بنا نتذكر نعمة الله علينا حتى يزداد إيماننا، فدل ذلك على فضيلة هذا الاجتماع.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، رقم(٢٤٠٢).

٢٤٨ـ باب الذكر عند الصباح والمساء

قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

قال أهل اللغة: «الآصال»: جمع أصيل، وهو ما بين العصر والمغرب. وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠]. **وقال تعالى:** ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [غافر: ٥٥].

قال أهل اللغة: «العشي»: ما بين زوال الشمس وغروبها وقال تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧]. **وقال تعالى:** ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ [ص: ١٨].

الشـــرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ باب الذكر في الصباح والمساء، يعني فضيلته في الصباح والمساء، يعني أول النهار وآخر النهار وأول الليل، ويدخل الصباح من طلوع الفجر، وينتهي بارتفاع الشمس ضحًى، ويدخل المساء من صلاة العصر وينتهي بصلاة العشاء أو قريبًا منها.

فالأذكار التي أريدت بالصباح والمساء هذا وقتها، والأذكار التي أريدت بالليل تكون بالليل، مثل آية الكرسي من قرأها في ليلة فلابد أن تكون في الليل نفسه ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ آيات متعددة في ذلك، منها قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ ﴾ . يعني: فيما بينك وبين نفسك ﴿ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾ يعني: تضرعًا إلى الله عزَّ وجلَّ وافتقارًا إليه وإظهارًا للفقر بين يديه ﴿ وَخِيفَةً ﴾ يعني: خيفة منه أو خيفة ألا تقبل، لقول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦٠]. يعني: يؤتون ما آتوا ومع هذا قلوبهم وجلة، يخافون ألا يقبل منهم، لأن الله تعالى لا يتقبل إلا من المتقين، ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ . يعني الإسراء ﴿ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ ثم ذكر أيضًا قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴾ [ص: ١٨]، والآيات في هذا كثيرة، وسوف يأتي إن شاء الله في الأحاديث تفسير ذلك.

* * *

١٤٥١ ـ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رَسولُ الله ﷺ: «مَنْ قالَ حِينَ يُصْبِحُ وحينَ يُمسي: سُبْحَانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ مائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأتِ أَحَدٌ يَوْمَ القِيَامَةِ بِأفضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إلا أَحَدٌ قال مِثلَ ما قال أوْ زَادَ[1]» رواه مسلم.

١٤٥٢ ـ وعنهُ رضي الله عنه قالَ: جاءَ رَجُلٌ إلى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْربٍ لَدَغَتْنِي البَارِحَةَ! قال: «أَمَا لَو قُلتَ حِينَ أمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكلِمَاتِ

(١) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل التهليل والتسبيح، رقم(٤٨٥٨).

الله التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ تَضُرَّكَ[١]» رواه مسلم.

١٤٥٣ ـ وعَنْهُ رضي الله عنه عنِ النَّبِيِّ ﷺ أنَّهُ كانَ يَقولُ إذَا أصبَحَ: اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُور». وإذا أمْسَى قال: «اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا، وبِكَ نحيا، وبِكَ نموتُ، وإليك النُّشُورُ[٢]».

رواه أبوداود والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

الشــرح

هذه الأحاديث الثلاثة ذكرها الحافظ النووي ـ رحمه الله ـ في باب الذكر في الصباح والمساء، الأول فضل قول الإنسان «سبحان الله وبحمده مائة مرة» إذا قالها الإنسان مائة مرة حين يصبح ومائة مرة حين يمسي لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا من عمل أكثر مما عمل، وهذا الذكر «سبحان الله وبحمده» معناه أنك تنزه الله عزَّ وجلَّ عن كل ما لا يليق بجلاله سبحانه وتعالى وتثني عليه بل وتصفه بصفات الكمال، وذلك في قولك: «وبحمده» فينبغي للإنسان إذا أصبح أن يقول: «سبحان الله وبحمده مائة مرة»، وإذا أمسى أن يقول: «سبحان الله وبحمده مائة مرة»، وذلك ليحوز هذا الفضل الذي ذكره النبي ﷺ.

ومن ذلك أن الإنسان يقول إذا أصبح وإذا أمسى «أعوذ بكلمات الله

---

(١) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب في التعوذ من سوء القضاء، رقم(٤٨٨٣).

(٢) رواه أبوداود: كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، رقم(٤٤٠٦)، والترمذي: كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى، رقم(٣٣١٣).

التامات من شر ما خلق»، فهذا لجوء إلى الله سبحانه وتعالى واعتصام به من شر ما خلق، فإذا قلته ثلاث مرات في الصباح والمساء فإنه لا يضرك شيء، ولهذا اشتكى رجل إلى النبي ﷺ ما وجده من لدغة عقرب، فقال: «أما إنك لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك».

ومن الأذكار الصباحية والمسائية: قول: «اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور» في الصباح، وفي المساء «اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا وبك نموت وبك نحيا وإليك المصير» فينبغي للإنسان أن يحافظ على هذه الأذكار الواردة عن النبي ﷺ، ليكون من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات والله الموفق.

كلمات الله التامات: هي كلماته الكونية، فإنه يقول للشيء: كن فيكون، وبذلك يحميه. إذا قالها قبل ما تسلط عليه.

* * *

١٤٥٤ ـ وعَنْ أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ أَبَا بَكرٍ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه قالَ: يا رسُول الله مُرْنِي بِكَلِماتٍ أَقُولُهُنَّ إذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ، قال: «قُلْ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ والأرضِ عالِمَ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ، رَبَّ كُلِّ شَيءٍ وَمَلِيْكَهُ أشهدُ أن لا إله إلاَّ أنت أعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نفسي وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ قال: «قُلْها إذا أصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أخذْتَ مَضْجَعَكَ[1]» رواه أبوداود والترمذي وقالَ: حديثٌ

(١) رواه أبوداود: كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، رقم(٤٤٠٥)، والترمذي: كتاب الدعوات، باب منه، رقم(٣٣١٤).

حسنٌ صحيحٌ.

الشرح

هذا من الأذكار التي تُقال في الصباح والمساء والذي علمها النبي ﷺ أبا بكر رضي الله عنه حين قال: علمني. فعلمه النبي ﷺ ذكرًا ودعاء يدعو به كلما أصبح وكلما أمسى، يقول رضي الله عنه قال: «**قل: اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه**».

«قل: اللهم فاطر السماوات والأرض». يعني: يا الله يا فاطر السموات والأرض، وفاطرهما يعني: أنه خلقهما عزَّ وجلَّ على غير مثال سابق بل أبدعهما وأوجدهما من العدم على غير مثال سابق «**عالم الغيب والشهادة**» أي: عالم ما غاب عن الخلق وما شاهدوه، لأن الله تعالى يعلم الحاضر والمستقبل والماضي.

«ربّ كل شيء ومليكه» يعني: يا رب كل شيء ومليكه، والله تعالى هو رب كل شيء وهو مليك كل شيء، والفرق بين الرب وبين المالك في هذا الحديث، أن الرب هو الموجد للأشياء الخالق لها، والمليك هو الذي يتصرف فيها كيف يشاء «أشهد أن لا إله إلا أنت» أعترف بلساني وقلبي أنه لا معبود حق إلا أنت، فكل ما عُبِدَ من دون الله فإنه باطل لا حق له في العبودية، ولا حق في العبودية، إلا لله وحده عزَّ وجلَّ.

«أعوذ بك من شر نفسي» لأن النفس لها شرور، كما قال تعالى: ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [يوسف: ٥٣]. فإذا لم يعصمك الله من شرور نفسك فإنها تضرك، وتأمرك

بالسوء، ولكن الله إذا عصمك من شرها، وفقك إلى كل خير.

«ومن شر الشيطان وشركه» وفي لفظ «وَشَرَكِهِ» يعني تسأل الله أن يعيذك من شر الشيطان ومن شر شركه، أي: ما يأمرك به من الشرك، أو «شَرَكِهِ» والشَرَكَ ما يصاد به الحوت والطير وما أشبه ذلك؛ لأن الشيطان له شَرَك يصطاد به بني آدم، إما شهوات أو شبهات أو غير ذلك.

«وأن أقترف على نفسي سوءًا أو أجره إلى مسلم» هذا تتمة الحديث، ولعله سقط من هذه النسخة «أن أقترف على نفسي سوءًا» أقترف يعني أجر على نفسي سوءً «أو أجره إلى مسلم» فهذا الذكر أمر النبي ﷺ أبا بكر أن يقوله إذا أصبح وإذا أمسى وإذا أخذ مضجعه.

نسأل الله لنا ولكم الهداية والتوفيق لما يحب ويرضى.

* * *

١٤٥٥ ـ وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قالَ: كَانَ نبيُّ الله ﷺ إذَا أمْسَى قال: «أمْسَيْنَا وأمْسَى المُلكُ لله، والحَمْدُ لله، لا إله إلاَّ الله وَحْدَهُ لا شريكَ لَه» قالَ الراوي: أُرَاهُ قال فيهِنَّ: «لَهُ المُلكُ ولَهُ الحَمْدُ وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ، رَبِّ أسْأَلُكَ خَيْرَ مَا في هذه اللَّيْلَةِ، وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا، وأعُوذُ بِكَ من شَرِّ مَا في هذه اللَّيْلَةِ وَشَرِّ ما بَعْدَهَا، رَبِّ أعُوذُ بك مِنَ الكَسَل، وَسُوءِ الكِبَرِ، رَبِّ أعوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ في النَّارِ، وعَذَابٍ في القَبْرِ» وإذا أصبح قال ذلك أيضًا: «أصبَحْنَا وأَصْبَحَ المُلْكُ لله[1]» رواه مسلم.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التعوذ من شر ما عمل، رقم(٤٩٠١).

الشـــرح

هذا الحديث من الأذكار الواردة في الصباح والمساء، وهو ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا أمسى يقول: «**أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير**» وقد سبق أن أوضحنا معاني هذه الكلمات.

والنبي ﷺ يكثر من ذكر الله عزَّ وجلَّ، على وجوه متنوعة، ومنها: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، رب أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشر ما بعدها، رب أعوذ بك من الكسل والهرم وسوء الكبر**». وفي لفظ «**وسوء الكبر**» «**وأعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر**» وإذا أصبح يقول مثل ذلك، إلا أنه يقول: «**أصبحنا وأصبح الملك لله**».

ومَنْ أراد الاستزادة من هذه الأذكار فعليه بكتاب «**الأذكار**» للمؤلف الحافظ النووي رحمه الله، أو «**الوابل الصيب من الكلم الطيب**» لابن القيم رحمه الله، أو غير ذلك مما ألفه العلماء في هذا الباب. والله الموفق.

* * *

١٤٥٦ ـ وعَنْ عَبْدِ الله بن خُبيب ـ بضمِّ الخاء المُعجمعة ـ رضي الله عنه قالَ: قالَ لي رَسُولُ الله ﷺ: «اقْرَأ قُلْ هو الله أحدٌ، والمعوِّذتَيْنِ حينَ تُمْسِي وَحِينَ تُصْبِحُ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيك من كلِّ شيء[1]» رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث

---

(١) رواه أبوداود: كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، رقم(٤٤١٩)، والترمذي: كتاب الدعوات، باب في انتظار الفرج وغير ذلك، رقم(٣٤٩٩).

حسنٌ صحيحٌ.

١٤٥٧ ـ وعنْ عُثْمَانَ بنَ عفانَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ عَبدٍ يَقُولُ في صباحِ كلِّ يَوْمٍ ومساءِ كلِّ لَيْلَةٍ: بسم الله لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيءٌ في الأرض وَلاَ في السماء وَهُوَ السَّمِيعُ العليمُ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، إلاَّ لَمْ يَضُرَّهُ شَيءٌ»[1] رواه أبوداود، والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

الشرح

هذان الحديثان في بيان أذكار الصباح والمساء، ذكرهما الحافظ النووي ـ رحمه الله ـ الأول حديث عبد الله بن خبيب رضي الله عنه أن النبي ﷺ أمره أن يقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١]. في الصباح والمساء ثلاث مرات، وبين أن هذا يكفيه كل شيء.

أما السورة الأولى: فهي سورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ التي أخلصها الله تعالى لنفسه فلم يذكر فيها شيئًا إلا يتعلق بنفسه جل وعلا، ليس فيها ذكر لأحكام الطهارة أو الصلاة أو البيع أو غير ذلك، بل كلها مخلصة لله عزَّ وجلَّ. ثم إنَّ الذي يقرؤها يكمل إخلاصه لله تعالى، فهي مخلِصة ومخلَصة، تخلص قارءها من الشرك، وقد بين النبي ﷺ أنها تعدل ثلث القرآن، ولكنها لا تجزيء عنه، تعدله ولا تجزئ عنه والشيء قد

---

(١) رواه أبوداود: كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، رقم(٤٤٢٥)، والترمذي: كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى، رقم(٣٣١٠).

يكون عديلاً للشيء ولكن لا يجزىء عنه، ألم تروا أن الإنسان إذا قال: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**» كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل، ومع ذلك لا تجزىء عن عتق رقبة، ففرق بين المعادلة في الأجر وبين الإجزاء في الكفارة، ولهذا لو قرأ الإنسان: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ في الصلاة ثلاث مرات ما أجزأت عن الفاتحة، مع أنه لو قرأها ثلاث مرات كأنما قرأ القرآن كله لأنها تعدل ثلث القرآن.

وأما ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾. و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾. فهما السورتان اللتان نزلتا على رسول الله ﷺ حين سحره الخبيث لبيد بن الأعصم اليهودي، فأنزل الله هاتين السورتين، فرقاه بهما جبريل، فحَلَّ الله عنه السحر، قال النبي ﷺ: «ما تعوذ متعوذ بمثلهما» تستعيذ ﴿بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾. فالفلق فلق الإصباح، وهو فالق الحب والنوى جل وعلا ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ٢]. كل ما خلق ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق: ٣]. يعني الليل إذا دخل، لأن الليل تكثر فيه الهوام والوحوش وغير ذلك، فتستعيذ بالله من شر غاسق إذا وقب ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤] أي: الساحرات اللاتي يعقدن عقد السحر، وينفثن فيها بالطلاسم والتعوذات والاعتصام بالشياطين والاستعانة بهم والعياذ بالله ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥]. هو العائن يصيب بعينه، لأن الساحر يؤثر، والعائن يؤثر، فأمرت أن تستعيذ ﴿بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ جل وعلا: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ

فِي ٱلْعُقَدِ ۝ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ وتأمل تناسب هذه الآيات الثلاثة ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾. الليل، لأن البلاء يكون فيه خفيًا، والسحر كذلك خفي، والعين كذلك خفية، فنستعيذ برب الفلق الذي يفلق الإصباح حتى يتبين ويفلق النوى حتى يظهر ويبرز، فهذه من مناسبة المقسم به والمقسم عليه.

أما ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾. فهي السورة الأخرى أيضا التي بها الاستعاذة بالله عزَّ وجلَّ ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾. فهو الرب الملك ذو السلطان الأعظم الذي لا يمانعه شيء ولا مبدل لكلماته جل وعلا ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾. أي: معبودهم الذي يعبد بحق، فلا معبود حق إلا الله عزَّ وجلَّ ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾. هذه وساوس الصدور التي يلقيها الشيطان في قلب ابن ادم، وما أكثر ما يلقي الشيطان في هذا العصر من الوساوس العظيمة التي تقلق الإنسان، وسبحان الله العظيم، الدنيا اسم على مسمى، دنيئة لا تتم من وجه إلا نقصت من وجوه، ترفنا في هذه الأيام في هذا العهد لا يوجد نظيره فيما سبق، النعم متوافرة والأموال والبنون وكل شيء، والترف الجسدي ظاهر، لكن كثرت في الناس الآن الوساوس والأمراض النفسية، والبلاء، حتى لا تتم الدنيا فيركن الإنسان إليها؛ لأن الدنيا لو تمت من كل وجه أنْسَتِ الآخرة، كما قال النبي ﷺ: «والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تفتح عليكم الدنيا فتنافسوها

كما تنافسها من قبلكم فتهلككم كما أهلكتهم[(١)]» والله عزَّ وجلَّ إذا فتح الدنيا من جانب صار صفوها كدرًا من جانب آخر أو من جانب أخرى، والشاعر الجاهلي يقول:

فيـــوم علينـــا ويـــوم لنـــا
ويـــوم نســـاء ويـــوم نســـر

فالحاصل أن هذه السورة فيها الاستعاذة من الوسواس، والوسواس يقع في الإنسان أحيانًا في أصول الدين وفي ذات الرب وفي القرآن، وفي الرسول ﷺ، حتى يوسوس للإنسان في أشياء يحب أن يكون فحمة ولا يتكلم بها، يوسوس أيضًا في الطهارة، فبعض الناس يصاب بالوسواس ـ والعياذ بالله ـ يدخل الحمام للوضوء الذي لا يستغرق خمس دقائق فيبقى خمس ساعات ـ نسأل الله العافية ـ وفي الصلاة تجده يكرر تكبيرة الإحرام يكرر الكاف عشرين مرة «الله أكبر» وربما يعجز، حتى إن بعضهم يقول: إني لا أستطيع أن أصلي إطلاقًا. فيؤدي به الوسواس إلى ترك الصلاة، يقع الوسواس في معاملة الأهل، حتى إن بعضهم يخيل إليه أن أهله وضعوا له سحرًا في أكله وشربه، فيأكل من المطاعم، وحتى إن الرجل ليتكلم لأهله فيقول: يا أم فلان «زوجته» فيقول له الشيطان: طلقتها وينكد عليه الحال، حتى إن بعضهم إذا فتح المصحف ليقرأ، كلما قلب ورقة خيل له الشيطان أنه قال لامرأته: أنت طالق فترك قراءة القرآن فالوساوس عظيمة لكن

---

(١) رواه الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب منه، رقم(٢٣٨٦).

طردها سهل جدًا، بيّنه النبي ﷺ الذي أعطاه الله جوامع الكلم وفواتح الكلم، وخواتم الكلم، حين شكي إليه هذا الأمر فقال ﷺ: «إذا وجد أحدكم ذلك فليستعذ بالله ولينته[١]» كلمتان، «يستعذ بالله»، يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ولكن يقولها بصدق وإخلاص، وأنه ملتجىء إلى الله حقًا، لا مفر له من الله إلا إليه، (ولينته): أي يعرض عن هذا، فيعرض إطلاقًا، إذا استعمل هذا وإن كان سوف يضغط على نفسه وسوف يتعذب، لكن هذا في أول الأمر فقط، ثم بعد ذلك يزولُ بالكلية، لأن الرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى، قال: «فليستعذ بالله ولينته» ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ١ ـ ٤].

هذه الجمل الثلاثة ـ الآيات الثلاث ـ يمكن أن يُقال إنها استوعبت أقسام التوحيد ﴿بِرَبِّ النَّاسِ﴾ توحيد الربوبية ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾. الأسماء والصفات، لأن الملك لا يستحق أن يكون ملكًا إلا بتمام أسمائه وصفاته ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾. الألوهية ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾.

قال العلماء: الخناس هو الذي يخنس عند ذكر الله. ولهذا جاء في الحديث: «**إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان**»[٢].

---

(١) رواه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم(٣٠٣٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان، رقم(١٩١).

(٢) رواه أحمد (٣/ ٣٨١).

الغيلان: هي الأوهام والخيالات التي تعرض للإنسان في سفره، ولاسيما في الأسفار الأولى على الإبل، أو الإنسان الذي يسافر وحده، فتتهول له الشياطين، تتلون بألوان، مثل أسد، ذئب، ضبع، شيطان، جن «إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان» يعني قولوا «الله أكبر» فتتلاشى، لأن الشيطان يخنس عند ذكر الله عزَّ وجلَّ ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾، يعني هذا الوسواس يكون من الجِنّة ويكون من الناس، الجنة هي الجن والمراد بهم الشياطين توسوس في الصدور والناس أيضًا بني آدم. وما أكثر الشياطين في زماننا وقبل زماننا وإلى يوم القيامة ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١]. الآية، كذلك لأتباع الأنبياء أعداء من الشياطين يأتون إلى الناس يوسوسون، هذا كذا وهذا كذا، ربما يوسوسون على السذج من العوام سواء في مذاهب باطلة وملل كاذبة أو غير ذلك، فيجب الحذر من شياطين الإنس الذين يوسوسون لك في أمور يزينونها في نفسك وهي فاسدة، فالمهم أن هذه السور الثلاث ينبغي للإنسان أن يقرأها كل صباح وكل مساء لأمر النبي ﷺ بها. والله الموفق.

*　　*　　*

٢٤٩ـ باب ما يقوله عند النوم

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

١٤٥٨ ـ وعَنْ حُذيفة وأبي ذر رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ إذا أوَى إلى فراشه قال: «باسمك اللهُمَّ أموت وأحْيَا[١]» رواه البخاري.

الشـــرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ فيما نقله في باب أذكار الصباح والمساء عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«ما من عبد يقول حين يمسي وحين يصبح: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، ثلاث مرات، إلا وقاه الله تعالى شر ذلك اليوم»** وهذه الكلمات كلمات يسيرة لكن فائدتها عظيمة **«بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم»** لأن الله سبحانه وتعالى بيده ملكوت السموات والأرض، واسمه مبارك إذا ذكر على الشيء، ولهذا يسن ذكر الله تعالى بالتسمية على الأكل، إذا أردت أن تأكل تقول: «بسم الله» إذا أردت أن تشرب تقول: «بسم الله» إذا أردت

---

(١) رواه البخاري: كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا نام، رقم(٥٨٣٧).

أن تأتي أهلك تقول: «بسم الله» فالتسمية مشروعة في أماكن كثيرة، ولكنها على القول الراجح على الأكل والشرب واجبة. يجب على الإنسان إذا أراد أن يأكل أن يقول: «بسم الله» وإذا أراد أن يشرب أن يقول: **«بسم الله»** لأمر النبي ﷺ بذلك ولأن النبي ﷺ ذكر أن من لم يسم الله على أكله شاركه الشيطان في ذلك، فلا تنسَ أن تقول في كل مساء وفي كل صباح **«بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم»** ثلاث مرات.

وقوله: **«وهو السميع العليم»** فالسميع من أسماء الله، والعليم من أسماء الله، فالسميع من أسماء الله تعالى وله معنيان:

الأول: السمع الذي هو إدراك كل صوت، فالله تعالى لا يخفى عليه شيء، كل صوت فالله يسمعه مهما بعد ومهما ضعف، لما أنزل الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]. وهي امرأة جاءت تشتكي إلى الرسول عليه الصلاة والسلام تقول: إن زوجها ظاهر منها، يعني قال لها: أنت علي كظهر أمي. وهذا القول يعد في الجاهلية طلاقًا بائنًا مثل الطلاق بالثلاثة، وهو كذب ومنكر، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا﴾ [المجادلة: ٢]. فجاءت تشتكي إلى الرسول ﷺ فأنزل الله هذه الآية ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾. قالت عائشة رضي الله عنها: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، والله لقد جاءت المجادلة إلى رسول الله ﷺ تكلمه وإني لفي الحجرة، ويخفى عليَّ بعض حديثها،

والله تعالى من فوق سبع سموات يسمع كلامهما. فالله تعالى يسمع كلامك وإن خفت «ضعف» ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]. فإياك أن تسمع الله عزَّ وجلَّ كلامًا لا يرضاه منك، واحرص على أن تسمعه ما يرضاه منك سبحانه وتعالى.

ومن معاني السميع: أنه سميع الدعاء، أي مجيب الدعاء، كما قال إبراهيم ﷺ: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩]. أي: مجيبه، فهو جل وعلا يجيب دعاء المضطر وإن كان كافرًا، ولهذا يجيب الله عزَّ وجلَّ، دعاء المضطرين في البحر، إذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فينجيهم، ويجيب جل وعلا دعوة المظلوم، قال النبي ﷺ: «**واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**(١)» ويجيب سبحانه وتعالى من تعبد له وحمده وأثنى عليه، كما يقول المصلي: «سمع الله لمن حمده».

وأما العليم: فهو من أسمائه أيضًا، وعلم الله تعالى علم واسع محيط بكل شيء قال الله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

يعلم ما في الأرحام، ومفاتيح الغيب خمس مذكورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ

---

(١) رواه البخاري: كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترك في الفقراء، رقم(١٤٠١)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم(٢٧).

مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ [لقمان: ٣٤]. فالله عزَّ وجلَّ عنده مفاتح الغيب، ما تسقط من ورقة من شجرة إلا يعلمها، إذا سقطت ورقة من شجرة في أبعد الفيافي، ولو كانت الورقة صغيرة فالله يعلمها، وإذا كان يعلم الساقط فهو جل وعلا يعلم الحادث الذي يخلقه، فكل شيء الله به عليم.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ أنت الآن مثلاً في بلدك مستقر وليست عندك نية أن تسافر يمينًا ولا شمالاً، فإذا أراد الله أن تموت بأرض جعل لك حاجة فيها، تحملك تلك الحاجة إلى تلك الأرض، وتموت هناك.

ولقد حدثني الثقة عن قصة غريبة، يقول: إنهم خرجوا من مكة عندما كان الناس يحجون على الإبل، خرجوا من مكة بعد الحج، وفي أثناء الطريق مرضت أمه فجعل يمرضها فارتحل القوم في آخر الليل، وبقي هو يمرض أمه ويمهد لها الفراش على الراحلة، ثم ركبت الأم وسار يقودها، وضل الطريق، وارتفعت الشمس وارتفعت حرارة الجو فإذا بخباء صغير عند بادية فعرَّج عليهم ونزل وسلم عليهم وقال لهم: أين طريق نجد؟ قالوا: طريق نجد بعيد جدا، ولكن انزل واسترح ثم ندُلُّك على الطريق. يقول: فأنختُ الراحلة وأنزلتُ والدتي، وحينما نزلت على الأرض قبض الله روحها، فسبحان الله، لقد جاءت من بلدها إلى هذه الأماكن المجهولة فماتت في المكان الذي قدر الله عزَّ وجلَّ أن تموت فيه؛ لأن الله يقول: ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾. فعلم الله

محيط بكل شيء حتى ما في نفسك، إذا كنت تفكر في شيء فالله يعلم ما يدور بنفسك، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق: ١٦]. فإياك أن تخفي في نفسك ما الله مبديه، إياك أن تخفي في نفسك ما لا يُرضي الله جل وعلا.

فالمهم أن هذا الدعاء مشروع في كل صباح وفي كل مساء «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم».

* * *

١٤٥٩ - وعن عليٍّ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ له وَلِفَاطِمَةَ رضي الله عنهما: «إذَا أوَيْتُمَا إلى فِرَاشِكُمَا، أوْ: إذا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا - فَكَبِّرا ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَسَبِّحَا ثَلاثًا وثلاثين، واحمَدَا ثَلاثًا وثلاثين[1]» وفي رواية: «التَّسْبِيحُ أربَعًا وَثَلاَثينَ» وفي رواية: «التكبيرُ أربعًا وَثَلاَثينَ[2]» متفقٌ عليه.

١٤٦٠ - وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إلى فِرَاشِهِ، فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بداخَلةِ إزارِهِ فإنَّهُ لا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: باسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أرْفَعُهُ، إنْ أمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وإنْ

---

(١) رواه البخاري: كتاب الدعوات، باب التكبير والتسبيح عند المنام، رقم(٥٨٤٣)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التسبيح أول النهار وعند النوم، رقم(٤٩٠٦).

(٢) رواه البخاري: كتاب فرض الخمس، باب الدليل على أن الخمس لنوائب رسول الله، رقم(٢٨٨١).

أرْسَلْتَها، فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالحينَ[١]» متفقٌ عليه.

الشــرح

هذان الحديثان في بيان ما يقوله الإنسان عند نومه، الحديث الأول حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفاطمة بنت محمد رضي الله عنها وصلى الله وسلم على أبيها، وذلك أن فاطمة اشتكت إلى النبي ﷺ ما تجده من الرحى «أداة لطحن الحب» وطلبت من أبيها خادمًا فقال ﷺ: «**ألا أدلكما على ما هو خير من الخادم**»؟ ثم أرشدهما إلى هذا، أنهما إذا أوى إلى فراشهما وأخذا مضجعيهما، يسبحان ثلاثًا وثلاثين ويحمدان ثلاثًا وثلاثين ويكبران أربعة وثلاثين، قال: «**فهذا خير لكما من الخادم**». وعلى هذا فيسن للإنسان إذا أخذ مضجعه لينام أن يسبح ثلاثًا وثلاثين ويحمد ثلاثًا وثلاثين ويكبر أربعة وثلاثين فهذه مائة مرة، فإن هذا مما يعين الإنسان في قضاء حاجاته، كما أنه أيضًا إذا نام فإنه ينام على ذكر الله عزَّ وجلَّ.

وكذلك حديث أبي هريرة إذا أراد الإنسان أن ينام أن ينفض فراشه بداخلة إزاره ثلاث مرات وداخلة الإزار طرفه مما يلي الجسد، وكأن الحكمة من ذلك ـ والله أعلم ـ بألا يتلوث الإزار بما قد يحدث من أذى في الفراش، وليقل: «**باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فارحمهما، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**» وذلك

---

(١) رواه البخاري: كتاب الدعوات، باب التعوذ والقراءة عند المنام، رقم(٥٨٤٥)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، رقم(٤٨٨٩).

أن الإنسان إذا نام فإن الله تعالى يقبض روحه كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾ [الزمر: ٤٢]. ولكن قبض الروح في المنام ليس كقبضها في الموت، إلا أنه نوع من القبض، ولهذا يفقد الإنسان وعيه ولا يحسُّ بمن حوله، فلهذا سماه الله تعالى وفاة، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ ﴾ [الأنعام: ٦٠]. ينبغي للإنسان أن يقول هذا الذكر «**باسمك ربي وضعت جنبي، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**» والله الموفق.

* * *

١٤٦١ ـ وَعَنْ عائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ نَفَثَ في يَدَيْهِ، وَقَرأ بالمُعوِّذَاتِ وَمَسَحَ بِهِمَا جَسَدَهُ[1]. متفقٌ عليه.

وفي رواية لهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كانَ إِذَا أَوَى إلى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فيهما فَقَرأَ فيهما: قُلْ هُوَ الله أحدٌ، وقُلْ أعُوذُ بِرَبِّ الفَلقِ، وَقُلْ أُعوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا ما اسْتَطَاعَ من جَسدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجهِهِ، وَمَا أقبلَ مِنْ جسدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ[2]. متفقٌ عليه.

قال أهلُ اللُّغة: «النَّفْثُ»: نَفخٌ لطيفٌ بلا ريق.

١٤٦٢ ـ وعَنِ البَرَاءِ بن عازب رضي الله عنهما قالَ: قَالَ لي رَسُولُ الله ﷺ:

---

(١) رواه البخاري: كتاب الدعوات، باب التعوذ والقراءة عند المنام، رقم(٥٨٤٤).

(٢) رواه البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب فضل المعوذات، رقم(٤٦٣٠).

«إِذَا أَتَيتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأ وضُوءَكَ للصَّلاةِ، ثمَّ اضطَجعْ عَلَى شِقِّك الأيْمَنَ، وَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفسِي إلَيْكَ، وَفَوَّضتُ أمْرِي إلَيْكَ، وَألَجَأْتُ ظَهرِي إلَيْكَ، رَغبَةً ورهْبَةً إلَيْكَ، لا مَلجأ ولا مَنجى مِنْكَ إلاَّ إليكَ، آمنتُ بِكِتَابِكَ الذي أنْزَلْتَ، وَبنَبيِّكَ الذي أرسلتَ، فإنْ مِتَّ، مِتَّ على الفِطرةِ، واجْعَلهُنَّ آخِرَ ما تَقُولُ[1]» مُتفقٌ عليه.

١٤٦٣ ـ وعَنْ أنَسٍ رضي الله عنه أنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إذا أوَى إلى فراشِهِ قالَ: «الحَمْدُ للهِ الَّذِي أطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وكَفَانَا وآوانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لا كافي لَهُ ولا مُؤوِيَ[2]» رواه مسلمٌ.

١٤٦٤ ـ وَعَنْ حُذَيفة رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ إذَا أرَادَ أنْ يَرْقُدَ، وَضَعَ يَدَهُ اليُمْنَى تحت خَدِّهِ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ قِني عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعثُ عِبَادَكَ[3]» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

ورواه أبوداود[4] مِنْ رواية حفصة رضي الله عنها وفيه أنَّه كَانَ يَقُولهُ ثلاثَ مرَّات.

الشـــرح

هذه الأحاديث من بقية الأحاديث التي ساقها المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في باب «أذكار النوم» فمنها حديث عائشة أن النبي ﷺ كان إذا أخذ

---

(١) رواه البخاري: كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا نام، رقم(٥٨٣٨)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب ما يقول عند النوم، رقم(٤٨٨٤).
(٢) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب ما يقول عند النوم، رقم(٤٨٩٠).
(٣) رواه الترمذي: كتاب الدعوات، باب منه، رقم(٣٣٢١).
(٤) رواه أبوداود: كتاب الأدب، باب ما يُقال عند النوم، رقم(٤٣٨٨).

مضجعه جمع كفيه يعني: ضم بعضهما إلى بعض ونفث فيهما، والنفث هو النفخ مع ريق يسير، ثم يقرأ قل هو الله أحد، قل أعوذ برب الفلق، قل أعوذ برب الناس، يمسح بهما. أي: بيديه ما استطاع من جسده يبدأ برأسه ومقدم جسده ثلاث مرات.

فينبغي للإنسان إذا أخذ مضجعه أن يفعل ذلك، ينفخ في يديه مجموعتين ويقرأ فيهما «**قل الله أحد، قل أعوذ برب الفلق، قل أعوذ برب الناس**» «**ثلاث مرات**»، يمسح رأسه ووجهه وصدره وبطنه وفخذيه وساقيه وكل ما يستطيع من جسده.

أما الحديث الثاني: فهو حديث البراء بن عازب رضي الله عنه وقد سبق شرحه.

وأما الحديث الثالث: فهو حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: «**الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي**» يحمد الله عزَّ وجلَّ الذي أطعمه وسقاه، بأنه لولا أن الله عزَّ وجلَّ يسر لك هذا الطعام وهذا الشراب ما أكلت وما شربت، كما قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣ ـ ٦٧]. فتحمد الله الذي أطعمك وسقاك «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا» كفانا يعني: يسر لنا الأمور وكفانا المؤونة، وآوانا أي: جعل لنا مأوى نأوي إليه، فكم من إنسان لا كافي له ولا مأوى، أو ولا مؤوي، فينبغي لك إذا أتيت مضجعك أن تقول هذا

الذكر.

ومن ذلك أيضًا حديث حذيفة وحفصة رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان إذا اضطجع وضع يده اليمنى تحت خده الأيمن وقال: «**اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك**».

فكل هذه أذكار واردة عن النبي ﷺ ينبغي على الإنسان أن يحفظها ويقولها كما كان النبي ﷺ يقولها. والله الموفق.

* * *

انتهى المجلد الخامس - بعون الله تعالى وتوفيقه- ويليه المجلد السادس - إن شاء الله تعالى - وأوله كتاب الدعوات.